مسيّرات صينية وتركية تعيد تشكيل موازين القوى في شرق ليبيا

ص2

محمد الحريري يستلهم البيئة الفراتية ويعيد إنتاجها

ص8

تصنيف الفيفا المغرب يحافظ على موقعه بين الكبار

ص11

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الجمعة 2026/04/03 - 15 شوال 1447

السنة 48 العدد 13775

Friday 03/04/2026

48th Year, Issue 13775

www.alarab.co.uk

تدمير البنية التحتية ورقة واشنطن وتل أبيب لخلخلة النظام الإيراني

تكتيك عسكري جديد للضغط على طهران أم إقرار بالفشل

طهران - يتوقّع خبراء الشؤون العسكرية أن تترجم الولايات المتحدة وإسرائيل تهديداتهما بتصعيد مواجهتهما ضد إيران إلى عملية تدمير شاملة للبنى الأساسية ومختلف المرافق الحيوية، سعيا لدفع الدولة إلى حافة الانهيار والعجز الكامل عن القيام بمهامها والنهوض بواجباتها إزاء السكان، أملا في خلخلة نظامها الذي مثّل إسقاطه هدفا معلنا لواشنطن وتل أبيب، إلاّ أنه أظهر قدرة على الصمود والتماسك رغم مقتل العديد من كبار مسؤوليه ورموزه وفي مقدمتهم المرشد الأعلى علي خامنئي وأمين المجلس الأعلى للأمن القومي علي لاريجاني.

وعلى أرض الواقع بدأت تلوح علامات على هذا التوجّه الأميركي – الإسرائيلي، حيث ذكرت وكالة فارس للأنباء أن جسرا على طريق سريع يربط العاصمة الإيرانية طهران بمدينة جرج في غرب البلاد تعرض الخميس لضربات جوية، مضيفة أن التقديرات الأولية تشير إلى سقوط عدة مصابين وأن مناطق أخرى من جرج تعرضت أيضا للقصف.

وأضافت الوكالة أن الجسر المستهدف يُعد أعلى جسر في الشرق الأوسط وافتُتح في وقت سابق من هذا العام.

كما أُعلن أيضا خروج أكبر مصنعين للصلب في إيران عن الخدمة، جراء سلسلة من الضربات الأميركية – الإسرائيلية، بحسب ما أفادت الشركتان المالكتان للمصنعين الخميس.

> تعطيل المرافق الحيوية سعيا لدفع الدولة إلى حافة الانهيار والعجز الكامل عن القيام بمهامها والنهوض بواجباتها إزاء السكان

ونقل موقع ميزان أونلاين عن مهران باكبين، نائب مدير العمليات في شركة خوزستان للصلب، قوله إن "تقديراتنا الأولية تشير إلى أن إعادة تشغيل هذه الوحدات ستستغرق ما لا يقل عن ستة أشهر وقد تصل إلى عام".

من جهتها، أعلنت شركة مباركة للصلب في محافظة أصفهان وسط البلاد أن "خطوط الإنتاج توقفت بالكامل نتيجة كثافة الهجمات".

ويخشى مراقبون ومسؤولون سياسيون من أن يتحوّل الاستهداف المباشر والمتعمّد للبنى التحتية والمرافق المدنية إلى تكتيك عسكري أساسي في الحرب الدائرة حاليا في المنطقة، وأن يتم توسيع ذلك الاستهداف ليشمل بلدانا أخرى في المنطقة.

وحذر رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية القطري محمد بن عبدالرحمن آل ثاني من مغبة الاستهداف غير المسؤول للبنية التحتية الحيوية خاصة المرتبطة بالمياه والغذاء ومنشآت الطاقة.

وبعد أكثر من شهر على اندلاع الحرب في الشرق الأوسط في أعقاب هجمات أميركية – إسرائيلية على إيران في الثامن والعشرين من فبراير الماضي، شدد الرئيس الأميركي دونالد ترامب على أن نهاية هذا النزاع لم تأتِ بعد. وقال "سنوجه إليهم ضربات شديدة للغاية خلال الأسبوعين أو الثلاثة المقبلة. سنعيدهم إلى العصر الحجري الذي ينتمون إليه".

وأضاف في خطاب ألقاه من البيت الأبيض "إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق، سنضرب كل محطة من محطاتهم للطاقة بشدة، وربما في وقت واحد".

ومن الجانب الإسرائيلي وجّه وزير الدفاع يسرائيل كاتس تهديدا شديد اللهجة إلى إيران، متوعدا بقصف العاصمة طهران في حال استمرار الهجمات الصاروخية التي تطال العمق الإسرائيلي.

وقال كاتس في تصريح جاء إثر جلسة حكومية لتقييم الوضع الأمني ومسار الحرب على إيران "طهران ستحترق إذا واصل المرشد الأعلى الإيراني إطلاق الصواريخ باتجاه الجبهة الداخلية لإسرائيل".

وبالتزامن مع تلك التصريحات قصفت إسرائيل أربعة مواقع داخل محافظة أذربيجان الشرقية شمال غرب إيران، فيما سُمعت أصوات انفجارات متفرقة في مدن إيرانية أخرى، من بينها خرم آباد وكرمانشاه. كما أظهرت مقاطع مصورة تصاعد أعمدة من الدخان في سماء مدينة تبريز عقب غارة إسرائيلية.

وقالت صحيفة معاريف الإسرائيلية، الأربعاء، إن تل أبيب تضغط على الرئيس الأميركي دونالد ترامب للقيام بعملية برية "قصيرة وقوية" قبل أي مفاوضات مع إيران.

ولفتت إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو قال الاثنين، إن الحرب تجاوزت منتصف الطريق، لكن "من حيث المهام، وليس بالضرورة من حيث الوقت".

وفي مقابلة مع قناة "نيوز ماكس" الأميركية الاثنين، حثّ نتنياهو ترامب على تجاوز المؤشرات التي تدل على معارضة معظم الأميركيين للحرب، قائلا "لا أقول إن على السياسيين تجاهل استطلاعات الرأي، فالجميع ينظر إليها. ولكن إذا كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يحدد مسار عملك، فأنت لست قائدا، بل تابعا".

ولفتت الصحيفة إلى أنه بينما يرسل ترامب رسائل متضاربة بشأن احتمالات إجراء محادثات مع إيران، يعتقد مسؤولون إسرائيليون أنه يدرس خيارين بشأن التفاوض أو التصعيد.

وتابعت "أحد الخيارات هو تصعيد الحرب عبر مهاجمة البنية التحتية للطاقة الإيرانية في جزيرة خرج، التي تُعدّ مركزا لـ90 في المئة من صادرات النفط الإيرانية، وحقل غاز بارس الجنوبي، الذي استهدفته إسرائيل".

قصف ممنهج لإثارة غضب الشارع

سجال ليبي بسبب فتوى رفع الأسعار على مستعملي البطاقات المصرفية

الحبيب الأسود

تشهد ليبيا سجالا حادا حول علاقة رجال الدين بالأسعار والتحولات المالية والاقتصادية في ظل الأزمات المتفاقمة التي تعرفها البلاد.

وأصدرت دار الإفتاء التابعة لحكومة الوحدة الوطنية المنتهية ولايتها فتوى حول إقدام بعض التجار على رفع الأسعار في حال البيع باستعمال البطاقات المصرفية.

وقالت دار الإفتاء الليبية إنها تلقت سؤالا من مواطن يرغب في توضيح طريقة البيع الصحيحة عن طريق البطاقة المصرفية، هل لا بد أن يكون بسعر النقد نفسه، أو تجوز الزيادة في السعر عند البيع بالبطاقة؟ علمًا أن البيع في محلات الجملة غالبًا ما يكون بالزيادة في حال التعامل بالبطاقة.

وقد أجاب عضوا دار الإفتاء المفتيان عبدالعالي بن امحمد الجمل وعصام بن علي الخمري بفتوى تم اعتمادها من قبل المفتي العام لليبيا الصادق بن عبدالرحمن الغرياني، جاء فيها "إنَّ بيعَ السلع وشراءَها عبر البطاقات المصرفية جائزٌ شرعًا بالسعر الذي يتراضى عليه العاقدان، فيجوز للبائع الزيادةُ في سعر السلعة عند بيعها بالبطاقة المصرفية أو الصكّ المصدّق، وهو كالزيادة في السعر، أو الخفض منه عند البيع بالآجل، أو عند البيع بالنَّقدِ من وقت لآخر؛ إذ لا فرق".

وبحسب الفتوى "لا يحق لمُصدر البطاقة أن يشترط على التاجر عدم الزيادة على سعر البيع بالنقد إذا كان مُصدر البطاقة لا يوفّر السيولة للتاجر حين يطلبها؛ لأن شرطه يؤدي إلى غبن التاجر ونقص ماله حين يريد تحويل ما في حسابه من مال البطاقة إلى نقد، فإن كان البيع بالبطاقة كالبيع بالنقد من حيث توفيرُ السيولة في الوقت المطلوب، فمن حقّ المُصدر أن يشترط على التاجر عدم الزيادة في السعر عند البيع بالبطاقة؛ لأن أخذ الزيادة حينئذ من الاحتيال المبطِّن من التاجر في زيادة السعر على المشتري".

ووجهت فتوى دار الإفتاء بانتقادات واسعة على الصعيد الشعبي، لاسيما أن البطاقات المصرفية توفر خصما فوريا يذهب إلى حساب التاجر وهو ما يعني أنه ليس من باب البيع المؤجل كما يراد الترويج له.

ويرى مراقبون أن دار الإفتاء في غرب ليبيا عرفت بتدخلها في المسائل المالية والاقتصادية وفي القضايا والملفات الدقيقة دون علم بخصوصياتها ودقائقها، وهي تنطلق في غالب الأحيان من تحالفها مع السلطات الحاكمة وأمراء الحرب ورجال الأعمال والتجار ورؤوس الأموال المتهمة بالتورط في الفساد.

واعتبر الكاتب والباحث التاريخي، عبدالحكيم عامر الطويل، أن من يحسبون أنفسهم نواب الله على الأرض يدمرون الشراء بالبطاقة المصرفية.

ويتوقع متابعون للشأن الليبي أن يسعى الغرياني إلى تبرير موقفه من خلال برنامجه الأسبوعي على قناة "التناصح" التي تعد جزءا من إمبراطوريته الإعلامية الواسعة، وذلك كمحاولة لتجاوز حالة الغضب الشعبي والحرج الذي باتت دار الإفتاء تواجهه بين أفراد المجتمع الليبي.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

خطاب ترامب: هل اكتملت المهمة فعلًا؟

في لحظة ذروة من عمر إدارة غارقة في الأزمات، وبعد أكثر من شهر من الحرب المستمرة ضد إيران، كان يُنتظر من خطاب الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن يرسم ملامح إستراتيجية واضحة، تُطمئن الأسواق القلقة وتعيد تثبيت شرعيته الداخلية. غير أن ما بدا على الشاشة لم يكن خطاب نصر ولا حتى خطاب إدارة أزمة، بل خليطا مربكا من تهديدات متصاعدة وتسويات مترددة، ومن ادعاء بإنجاز المهمة إلى اعتراف ضمني بالعجز عن إنهائها.

أبرز ما ميّز الخطاب هو الغموض الذي يكتنف مسألة الخروج من الحرب. فبينما أصرّ الرئيس الأميركي على أن "المهمة تقترب من نهايتها"، رفض تمامًا تقديم أي جدول زمني أو معالم واضحة يمكن للرأي العام أن يقيس عليها ما إذا كانت النهاية قريبة بالفعل. هذا النوع من الخطابات ليس جديدًا على ترامب، لكنه في هذه المرحلة بالذات يحمل مخاطر مضاعفة. فمن ناحية، يبدو كأنه يحاول كسب الوقت، ومن ناحية أخرى يرسل رسائل متضاربة إلى جميع الأطراف: فتهديداته المتكررة بـ"دمار لم تروه من قبل" تأتي في الجملة نفسها التي يدعو فيها إلى "العودة إلى طاولة المفاوضات بحسن نية".

هذا التناقض تحول إلى نمط ثابت في إدارة ترامب لهذه الحرب. والنتيجة واضحة: الأسواق المالية، التي تتعامل مع اليقين أكثر مما تتعامل مع التهديدات، فقدت ثقتها في أي إشارات تأتي من البيت الأبيض. وبخصوص ثقة الأميركيين أنفسهم، وفقًا لاستطلاعات الرأي الأخيرة، يعتبر أكثر من 60 في المئة من الناخبين أن إدارة ترامب تفتقر إلى إستراتيجية واضحة للتعامل مع إيران. حين يكون الرئيس غير قادر على الإجابة عن سؤال بسيط مثل "متى تنتهي الحرب؟"، فإنه بذلك يمنح خصومه الداخليين أداة جديدة لتفكيك شرعيته.

إذا كان هناك ملف واحد يجمع بين التحدي الجيوسياسي والمعاناة اليومية للأميركيين، فهو بالتأكيد أزمة مضيق هرمز. لقد بات واضحًا للجميع أن إيران تستخدم سيطرتها الجزئية على هذا الممر المائي الحيوي كورقة ضغط إستراتيجية، وهو ما انعكس مباشرة على أسعار النفط العالمية، ومن ثم على أسعار الوقود في محطات البنزين الأميركية. لكن ما أثار الدهشة حقًا في خطاب ترامب هو الطريقة التي تعامل بها مع هذه القضية: فبدلًا من أن يعلن بوضوح أن واشنطن ستتخذ إجراءات مباشرة لفتح المضيق، حمّل المسؤولية للدول المستوردة للنفط، داعيًا إياها إلى "تحمل عبء حماية ممرات الطاقة الخاصة بها".

هذا الموقف ترك حلفاء واشنطن في حالة من الذهول. فالدول الغربية، وخاصة الأوروبية منها، كانت تراهن على أن واشنطن ستظل الضامن الأمني لحرية الملاحة في المنطقة، كما كان الحال لعقود. أما الحلفاء الخليجيون، فقد شعروا وكأن رسالة خفية تُرسل إليهم مفادها: "أنتم وحدكم الآن في مواجهة طهران". هذه القراءة لم تكن مبالغًا فيها، بل عززتها تصريحات ترامب السابقة عن رغبته في "تقليل الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط". والنتيجة المباشرة: تصاعد المخاوف من أن تكون الحرب الحالية مجرد بداية لمرحلة جديدة من عدم الاستقرار الإقليمي، دون أن يكون هناك شريك أميركي موثوق يمكن الاعتماد عليه.

لعل أكثر الادعاءات إثارة للجدل في خطاب ترامب هو أنه أعلن، بشكل ضمني وإن لم يكن صريحًا، أن الأهداف الإستراتيجية للحرب قد تحققت. لكن هل هذا صحيح حقًا؟ دعونا ننظر إلى الهدف المعلن رقم واحد: منع إيران من امتلاك سلاح نووي. حتى الآن، ووفقًا لكل التقارير الاستخباراتية، لم تنجح الضربات العسكرية في تدمير القدرات النووية الإيرانية بشكل كامل. إيران لا تزال تمتلك بنية تحتية متقدمة، وليس هناك أي دليل على أنها تخلت عن طموحاتها النووية.

> خطاب ترامب لم يكن إعلان نصر ولا خطة خروج، بل خليطا مربكا من تهديدات وتسويات، يفضح غياب الرؤية

أما الهدف الثاني، وهو إضعاف القدرات العسكرية الإيرانية وردعها، فالواقع يقول إن إيران لم تخرج من هذه الحرب منهزمة. صحيح أنها تلقت ضربات موجعة، لكن قدرتها على الرد، سواء عبر وكلائها في المنطقة أو عبر صواريخها بعيدة المدى، لا تزال قائمة بل وربما ازدادت تشددًا. والتاريخ يعلمنا أن استهداف قيادات نظام ما، كما حدث مؤخرًا، نادرًا ما يؤدي إلى تغيير طبيعة ذلك النظام. غالبًا ما تكون النتيجة معاكسة: زيادة التماسك الداخلي، وتجريد القيادة الجديدة من أي حوافز للتسوية، وتعزيز خطاب المقاومة. إذا أضفنا إلى ذلك أن ترامب لم يقدم أي دليل ملموس على أن إيران أوقفت أنشطتها العدائية في المنطقة، فإننا أمام استنتاج واحد لا مفر منه: الحرب لم تحقق أهدافها المعلنة، والرئيس الأميركي إما أنه يضلل الرأي العام، أو أنه يضلل نفسه.

بعيدًا عن ساحات المعارك في الشرق الأوسط، هناك معركة أخرى يخوضها ترامب على الجبهة الداخلية، وهي معركة يبدو أنه بصدد خسارتها بشكل واضح.

ربما كان أكثر ما أثار دهشةَ المراقبين الأداءُ الإعلامي الباهت لترامب نفسه. فالرجل الذي اشتهر بخطاباته الحماسية التي تملأ الساحات، وجمله القوية التي تحفر في الذاكرة، بدا هذه المرة كأنه يقرأ نصًا لا يؤمن به. غابت الحماسة المعتادة، واختفى ذلك الأسلوب المواجه الذي جعل منه نجمًا تلفزيونيًا قبل أن يصبح رئيسًا. بدا ترامب متعبًا، مكررًا لنقاطه دون أن يضيف إليها أي شيء جديد، وكأنه يريد إنهاء الخطاب في أسرع وقت ممكن.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

الميليشيات تدفع نحو إرباك الوضع في العراق تخفيفا للضغط عن إيران

تحذير للرعايا الأميركيين من موجة هجمات داخل العاصمة بغداد

تتبنى فصائل عراقية مسلحة موالية لإيران ومنضوية ضمن ما يُعرف بـ"المقاومة الإسلامية في العراق"، يوميا هجمات بمسيّرات وصواريخ على ما تسميه "قواعد العدو" في العراق والمنطقة، في إشارة إلى المصالح الأميركية، فيما وسع الأميركيون مستوى الاستهدافات منذ بداية الحرب لإضعاف هذه الفصائل.

ولاء معلن

بغداد - لا تثني الضربات التي توجهها القوات الأميركية للميليشيات الشيعية في العراق، تلك الفصائل المعروفة بارتباطها الشديد بإيران، عن التصعيد سعيا لإرباك الوضع في البلد وأملا في إشغال الولايات المتحدة بفتح جبهة فرعية ضدّها لتخفيف الضغط عن حليفتها الجمهورية الإسلامية في مرحلة حاسمة من حربها ضدّ أميركا وإسرائيل.

وحذّرت السفارة الأميركية في بغداد، صباح الخميس، من أن فصائل عراقية مسلحة موالية لإيران قد تنفذ المزيد من الهجمات في وسط العاصمة العراقية بغداد.

وأوردت السفارة في تنبيه أمني لرعاياها نشرته على منصة إكس "قد تعتزم ميليشيات إرهابية عراقية متحالفة مع إيران تنفيذ هجمات في وسط بغداد خلال الأربع وعشرين أو الثماني وأربعين ساعة القادمة"، مجددة دعوتها مواطنيها إلى المغادرة.

ومنذ اندلاع الحرب التي بدأت بهجوم أميركي – إسرائيلي على إيران في الثامن والعشرين من فبراير الماضي، تتبنى فصائل عراقية مسلحة موالية لإيران ومنضوية ضمن ما يُعرف بـ"المقاومة الإسلامية في العراق"، يوميا هجمات بمسيرات وصواريخ على ما تسميه "قواعد العدو" في العراق والمنطقة، في إشارة إلى المصالح الأميركية بالبلد.

وهاجمت هذه الفصائل مرات عدة السفارة الأميركية في بغداد ومركز الدعم الدبلوماسي التابع لها في مجمع مطار بغداد الدولي. واعترضت الدفاعات الجوية معظم تلك الهجمات التي نُفّذت بصواريخ أو مسيّرات.

وقد توقفت الهجمات على السفارة منذ الثامن عشر من مارس الماضي. وفي اليوم التالي أعلنت كتائب حزب الله العراقية الموالية لإيران وقف استهداف السفارة لمدة خمسة أيام بموجب شروط. ومذاك مُددت المهلة مرّتين. وانقضت المهلة الأخيرة منتصف ليل الأربعاء إلى الخميس، من دون أن يتم تمديدها.

وكانت بغداد وواشنطن قد أعلنتا الأسبوع الماضي "تكثيف التعاون" الأمني بينهما من أجل منع الهجمات على القوات الأمنية العراقية والمصالح الأميركية.

وقالت سفارة واشنطن الخميس إن "الحكومة العراقية لم تتمكن من منع الهجمات الإرهابية التي تحدث داخل الأراضي العراقية أو تلك التي تنطلق منها". وأشارت كذلك إلى أن "الميليشيات الإرهابية استهدفت أميركيين بهدف الاختطاف".

> **تصعيد الفصائل يشمل إقليم كردستان العراق حيث تم الخميس إحباط ثلاثين هجوما على أربيل ودهوك**

وكانت الولايات المتحدة قد أعلنت أن صحافية أميركية اختُطفت الثلاثاء في بغداد على أيدي كتائب حزب الله، وأن السلطات العراقية أوقفت "شخصا مرتبطا" بهذا الفصيل "ويُعتقد أنه متورط في عملية الخطف".

من جهته، أكّد مسؤول كبير في وزارة الداخلية العراقية الأربعاء لوكالة فرانس برس أن موقوفا في عملية اختطاف الصحافية "يحمل هوية تعريفية تُظهر أنه ينتمي إلى اللواء 45 في الحشد الشعبي، وهو لواء تابع لكتائب حزب الله".

وأكّدت السلطات العراقية أنها تعمل على تعقّب خاطفين آخرين وتحرير المختطفة.

وعرّفت منظمات للدفاع عن حقوق الصحافيين، مثل موقع "المونيتور" الإخباري، الصحافية المخطوفة بأنها شيلي كيتلسون التي تتعاون مع هذا الموقع المختص في شؤون الشرق الأوسط.

وأشارت وزارة الخارجية الأميركية إلى أنها حذّرت الصحافية من الأخطار التي تهدد سلامتها، مضيفة أنها تعمل على إطلاق سراحها "في أسرع وقت ممكن".

ومنذ بدء الحرب تتعرّض مقارّ لهيئة الحشد الشعبي وفصائل عراقية مسلحة موالية لإيران ومرتبطة بحرسها الثوري لغارات منسوبة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل. وقال البنتاغون قبل أسبوعين إن مروحيات قتالية نفذت غارات ضد فصائل موالية لطهران في العراق.

وهيئة الحشد الشعبي هي تحالف فصائل تأسس عام 2014 لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، قبل أن ينضوي صوريا ضمن المؤسسة العسكرية العراقية ويصبح تابعا للقوات المسلحة. غير أنها تضمّ كذلك ألوية تابعة لفصائل مقاتلة موالية لإيران وتتحرك بشكل مستقل.

وفجر الخميس أعلن الحشد الشعبي ارتفاع حصيلة قتلاه في قصف استهدف موقعهم الأربعاء في محافظة نينوى بشمال غرب العراق إلى ثلاثة، متهما الولايات المتحدة وإسرائيل بتنفيذ ضربتَين أودتا بحياتهم.

ومنذ بدء الحرب تعترض الدفاعات الجوية مسيّرات في أجواء أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق، التي يضمّ مطارها الدولي قوات تابعة للتحالف الدولي بقيادة واشنطن لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية. وتستضيف المدينة كذلك قنصلية أميركية ضخمة.

وتحدّثت مصادر أمنية صباح الخميس عن "إحباط نحو ثلاثين هجوما ليليا بالمسيّرات على أربيل ودهوك، دون تسجيل إصابات".

وينطوي سلوك الميليشيات على حرج كبير للسلطات بفعل ما يجمع بين بغداد وواشنطن من تحالف وثيق سياسيا وأمنيا، وخصوصا اقتصاديا حيث يعتمد العراق في شأنه المالي على المبالغ بعملة الدولار التي يحصل عليها من الولايات المتحدة كثمن لمبيعات النفط الذي تمرّ موارده بشكل حتمي بالمؤسسة المالية الأميركية.

وبعد أن كانت الولايات المتحدة مكتفية بمطالبة السلطات العراقية بتحجيم دور الميليشيات في البلاد وإبعادها عن مواقع القرار السياسي والفعل الأمني والاقتصادي باتت الآن منخرطة في حرب ميدانية معلنة ضدّ تلك الميليشيات بما فيها تلك العاملة تحت مظلّة الحشد المحسوب صوريا ضمن المؤسسات الرسمية للدولة العراقية.

وكان الحشد قد تأسس سنة 2014 بناء على فتوى دينية من المرجع الشيعي العراقي الأعلى علي السيستاني دعا من خلالها إلى "الجهاد الكفائي" ضد تنظيم داعش الذي كان قد غزا العراق في صائفة تلك السنة واحتل مناطق شاسعة بغربها وشمالها حتى أصبح مهددا للعاصمة بغداد بحدّ ذاتها.

بوليساريو تقصي صقورها بالموازاة مع تحركات أميركية لتصنيفها منظمة إرهابية

محمد ماموني العلوي

الرباط - أقالت بوليساريو تحت إشراف جزائري قيادات بارزة تشرف على الهياكل العسكرية والسياسية، وذلك في سياق دعوات داخل الكونغرس ومجلس الشيوخ الأميركيين لتصنيف الجبهة منظمةً إرهابية.

وطالت عملية إعادة الهيكلة نحو عشرين منصبا داخل القيادة العسكرية لبوليساريو، خصوصا الشخصيات التي خلفت جدلا واسعا بسبب تصريحات سابقة تحرض على العنف، إضافة إلى الدائرة المقربة من إبراهيم غالي (زعيم الجبهة)، في خطوة تعكس محاولة احتواء تداعيات التحركات التشريعية الأميركية المتسارعة.

وانضمت النائبة الجمهورية إليز ستيفانيك، رسميا، إلى قائمة الموقعين على مشروع القانون الرامي إلى تصنيف الجبهة الانفصالية منظمة إرهابية؛ في خطوة جديدة تعزز اتساع دائرة الدعم داخل الكونغرس لهذا المقترح التشريعي.

ويبدو أن قيادة الجزائر انتبهت لخطورة الموقف وأوعزت إلى بوليساريو بإبعاد شخصيات ارتبطت بخطابات تحريضية على العنف خلال السنوات الأخيرة، خصوصا تلك التي دعت إلى استهداف مناطق الصحراء المغربية، في محاولة لامتصاص الغضب الدولي وإبعاد الجبهة عن الرادار الأميركي.

وتم إعفاء قائد الميليشيات محمد الولي اعكيك من منصب "رئيس الأركان" الذي كان يشغله منذ سنة 2021، وما يسمى وزير "الأراضي المحتلة" مصطفى سيدي علي البشير، حيث كان مكلفا أيضا بملف الجالية.

ودعا اعكيك في مايو 2022 بشكل علني إلى تنفيذ هجمات إرهابية داخل مدن الصحراء المغربية. وبعد أقل من سنة، وفي بداية مايو 2025، تبنى مصطفى سيدي علي البشير نفس النهج عندما دعا بدوره إلى استهداف الشركات الأميركية والأوروبية والصينية التي استثمرت بشكل كبير في الصحراء المغربية، ما زاد من حدة الانتقادات الدولية.

وأكد محمد الطيار، الباحث في الدراسات الإستراتيجية والأمنية، أن "هذه التغييرات هي عملية هيكلة اضطرارية يقودها إبراهيم غالي لإحكام القبضة على مفاصل القرار العسكري والدبلوماسي، عبر استبدال مراكز القوى التقليدية بوجوه تدين له بالولاء المطلق، وتهدف أساسا إلى التحضير لمخاض عسير تفرضه المتغيرات الدولية الكبرى لمواجهة واقع سياسي جديد قد يفرض عليها (بوليساريو) مسارات تفاوضية لم تكن ترغب فيها، مع انكماش الدور الجزائري، وفي الوقت نفسه محاولة تنظيف صورتها الدولية من خلال تقديم هيكل تنظيمي يبدو مؤسساتيا، وذلك للهروب من شبح التصنيف الأميركي كمنظمة إرهابية".

وأوضح في تصريح لـ"العرب" أن "تعيين خصوم مثل البشير مصطفى السيد في منصب تشريعي (رئاسة المجلس الوطني) لا يخرج عن إطار المناورة السياسية، كونها عملية تهدف إلى احتواء الأصوات المعارضة داخل قوالب بروتوكولية بعيدة عن السلطة التنفيذية والمالية"، لافتا إلى أن "هذا التوزيع الجديد للأدوار يهدف إلى امتصاص الاحتقان الداخلي وتقديم رسالة للخارج تستهدف إظهار التمسك بخط الصقور المتشدد لعرقلة مقترح الحكم الذاتي، مع الحفاظ على تماسك صوري يمنع الانشقاقات في هذه المرحلة الحساسة".

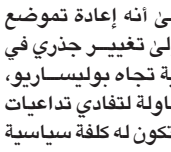

محمد الطيار

توزيع جديد للأدوار يهدف إلى امتصاص الاحتقان الداخلي

وتابع الطيّار قائلا إن "دور العقيدة العسكرية الجزائرية يبرز كحجر زاوية في هذا المشهد، وهي عقيدة مركبة تتجاوز الجانب الدفاعي لتشكل المحرك الأساسي لتصورات الدولة الجزائرية في محيطها الإقليمي والدولي، هذه العقيدة، التي ترى في استدامة النزاع المفتعل أداة للتوازن الجيوسياسي، لا يمكن أن تتغير بسهولة أو بقرار آني".

كما يرى الطيّار أنه في حالة تحول التهديد الأميركي بالتصنيف الإرهابي إلى واقع قانوني واستمرار مجلس الأمن الدولي في تبني الحكم الذاتي خيارا وحيدا للحل، ستجد الجبهة نفسها أمام خيار انفجار داخلي نتيجة تضارب المصالح بين الحرس القديم المتمسك بالشعارات الثورية التي تستهدف أمن واستقرار المغرب، أو الانصياع الاضطراري لمسار تفاوضي جديد ينهي مرحلة الجمود، مما يعني أن هذه التعيينات ليست سوى مسكنات مؤقتة لصراع أعمق ومؤجل داخل بيت بوليساريو.

وتم تعويض محمد الولي اعكيك بشخص حمة سلامة، الذي سبق له أن تولى قيادة منطقتين عسكريتين داخل بوليساريو، وكان يشغل منصب رئيس "برلمان" بوليساريو، إذ يحظى هذا الأخير بتقدير كبير داخل النظام الجزائري.

وتأتي هذه التحولات أيضا بعد إعلان الجزائر عن تبني عقيدة جديدة تقوم على "البراغماتية الدبلوماسية"، تم الكشف عنها عبر مجلة "الجيش"، المقربة من المؤسسة العسكرية، وهو ما يفسره محللون على أنه إعادة تموضع تكتيكي لا يرقى إلى تغيير جذري في السياسة الجزائرية تجاه بوليساريو، بقدر ما يعكس محاولة لتفادي تداعيات تصنيف محتمل قد تكون له كلفة سياسية ودبلوماسية ثقيلة.

انتهاكات إسرائيلية ترهق جنوب سوريا

المزارعون عاجزون عن الوصول إلى أراضيهم

دمشق - يواجه جنوب سوريا انتهاكات إسرائيلية شبه يومية، ألقت بظلالها على قطاعي الزراعة وتربية الماشية، وسط قيود متزايدة على وصول السكان إلى أراضيهم وتضرر مساحات واسعة من المراعي والأراضي الزراعية. وتتكرر انتهاكات إسرائيل لسيادة سوريا، رغم إعلان دمشق مرارا التزامها باتفاقية فصل القوات لعام 1974، والتي أعلنت تل أبيب إلغاءها بعد سقوط نظام بشار الأسد أواخر 2024.

وتشمل الانتهاكات توغلات برية وقصفا مدفعيا، لاسيما في ريفي القنيطرة ودرعا، واعتقال مواطنين وإقامة حواجز لتفتيش المارة والتحقيق معهم، وتدمير مزروعات.

توغلات شبه يومية

يأتي ذلك رغم الإعلان في 6 يناير الماضي عن تشكيل آلية اتصال بين سوريا وإسرائيل، بإشراف أميركي، لتنسيق تبادل المعلومات وخفض التصعيد العسكري والانخراط الدبلوماسي وتوفير الفرص التجارية.

وتقول السلطات السورية إن استمرار الاعتداءات الإسرائيلية يحد من قدرتها على استعادة الاستقرار، ويعرقل جهود الحكومة لجذب الاستثمارات وتحسين الوضع الاقتصادي.

وتبدو السلطة السورية الجديدة عاجزة عن التحرك، فهي من جهة لا تريد المخاطرة بالدخول في صراع مع إسرائيل في وقت تحاول فيه جاهدة أن تسوّق للمجتمع الدولي أنها قوة استقرار في المنطقة، وفي الآن ذاته لا تستطيع فعل الكثير دبلوماسيا لإجبار تل أبيب على التخلي عن نهجها.

وأدت الانتهاكات الإسرائيلية إلى تقسيم ريف القنيطرة عبر إنشاء عشرات القواعد والنقاط العسكرية، إلى جانب إلحاق أضرار بمئات الدونمات من الأراضي، بما في ذلك اقتلاع وتخريب أشجار.

كما تسببت إقامة قواعد عسكرية داخل بعض المناطق في تحويل المراعي التي يعتمد عليها مربو الماشية إلى أماكن غير صالحة للاستخدام، ما انعكس سلبا على قطاع تربية الأغنام وغيرها.

ويواجه المزارعون صعوبات متزايدة في الوصول إلى أراضيهم جراء الاعتداءات الإسرائيلية، في وقت تستمر فيه الأشجار المثمرة، كأشجار الزيتون والعنب، بإنتاجها، دون أن يتمكن أصحابها من جني محاصيلها.

وتسببت هذه الظروف في خسائر اقتصادية مباشرة، إضافة إلى انعكاسات اجتماعية على السكان الذين يعتمدون بشكل رئيسي على الزراعة مصدر دخل.

ويوضح مدير زراعة القنيطرة محمد رحال أن الانتهاكات الإسرائيلية "لم تقتصر على العمليات العسكرية، بل شملت أيضا أضرارا بيئية".

ويقول إن "الانتهاكات على طول خط وقف إطلاق النار وداخل المنطقة أثرت بشكل كبير على المزارعين، حيث تضررت الغابات وتم منع الوصول إلى العديد من الأراضي الزراعية".

> **استمرار الاعتداءات يحد من قدرة الحكومة السورية على استعادة الاستقرار وتحسين الوضع الاقتصادي**

ويضيف أن "مواد كيميائية جرى رشها في بعض المناطق تسببت في أضرار للمحاصيل والمراعي"، موضحًا أن "التحاليل أظهرت أنها مبيدات أعشاب، لكنها ألحقت ضررا كبيرا بالمحاصيل الشتوية والمراعي".

ويشير رحال إلى أن مربي الماشية يواجهون ظروفًا صعبة، دفعت الكثير منهم إلى بيع قطعانهم نتيجة نقص المراعي واستمرار الضغوط.

ويقول المزارع محمد الحسن إن "النشاط الزراعي تراجع بشكل كبير وإن الذهاب إلى الأراضي أصبح مخاطرة، فالقوات الإسرائيلية قد تدخل إليها في أي وقت، لذلك لا نذهب ولا نسمح لأطفالنا بالذهاب".

ويشير إلى أن "عددا من المزارعين لم يتمكنوا من حصاد محاصيلهم"، قائلا "كثيرون لم يستطيعوا الوصول إلى أشجار الزيتون والكرز".

وأكد أن "قطاع تربية الماشية تأثر كذلك بشكل كبير"، موضحا أن "الرعاة لم يعودوا قادرين على استخدام المراعي وسط مخاوف من التعرض لإطلاق نار، ما اضطر بعضهم إلى بيع مواشيهم".

بدوره يقول المزارع ومربي الماشية حسين باكير إنهم "باتوا عاجزين عن استثمار أراضيهم"، مضيفًا "لدينا أراض لكن لا نستطيع الوصول إليها، لا للزراعة ولا للرعي، وحتى المرور في الطرق أصبح مقيدا".

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

مسيّرات صينية وتركية تعيد تشكيل موازين القوى في شرق ليبيا

فاعلية الحظر الدولي على الأسلحة تتراجع بدخول تقنيات حديثة

تتحول القدرات الجوية بالنسبة إلى قوات المشير خليفة حفتر إلى أداة لتعزيز النفوذ في أي مفاوضات مستقبلية لتوحيد السلطة، خاصة في ظل الانقسام المستمر بين الشرق والغرب، حيث تقود حكومة الدبيبة المشهد السياسي الليبي في العاصمة طرابلس.

بنغازي - يعكس ظهور طائرات مسيّرة صينية وتركية في شرق ليبيا تحولا نوعيا في مسار الصراع، حيث يتجه الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر إلى تعزيز قدراته الجوية بشكل يتجاوز حدود التوازن الهش الذي فرضه وقف إطلاق النار منذ عام 2020.

وكشف تقرير نشرته رويترز مدعوما بصور أقمار صناعية وجود ثلاث طائرات مسيرة على الأقل في قاعدة الخادم الجوية، الواقعة في الصحراء على بُعد نحو 100 كيلومتر إلى الشرق من مدينة بنغازي، وذلك بين أواخر أبريل وديسمبر. ولم تتحدث تقارير عن وصولها سابقا.

وبحسب ثلاثة خبراء في الأسلحة راجعوا الصور، كانت معدات تحكم أرضية بالطائرات على ما يبدو لا تزال ظاهرة هذا العام.

> القدرات الجوية أداة لتعزيز النفوذ في أي مفاوضات مستقبلية لتوحيد السلطة، في ظل الانقسام بين الشرق والغرب

ولا تشير الوقائع الجديدة فقط إلى إدخال معدات جديدة، بل إلى مسار متكامل لإعادة بناء القوة العسكرية للجيش الوطني الليبي، في بيئة دولية تبدو فيها القيود المفروضة على التسليح أكثر هشاشة من أي وقت مضى، ما يفتح الباب أمام مرحلة جديدة من إعادة تشكيل موازين القوى.

ولا يمكن فصل هذا التطور عن البنية الجغرافية والعسكرية لشرق ليبيا، حيث تم رصد هذه الطائرات في قاعدة الخادم الجوية، التي تحولت خلال السنوات الماضية إلى أحد أهم مراكز العمليات العسكرية في معسكر الشرق. فوجود ثلاث طائرات مسيّرة على الأقل، إلى جانب معدات تحكم أرضية ظاهرة في صور حديثة، يشير إلى أن الأمر لا يتعلق بمجرد شحنات عابرة، بل ببنية تشغيلية قائمة أو قيد التفعيل، وهو ما يعزز فرضية الانتقال من مرحلة الامتلاك إلى مرحلة الاستخدام الفعلي.

ويرى الخبير الليبي أنس القماطي أن وصول هذه المسيّرات يمثل "انتصارا رمزيا كبيرا" لحفتر، ليس فقط من الناحية العسكرية، بل أيضا على مستوى ترسيخ السيطرة على الشرق وأجزاء واسعة من الجنوب، بما في ذلك مناطق غنية بالنفط.

ويعكس هذا التوصيف البعد السياسي للتفوق العسكري، حيث تتحول القدرات الجوية إلى أداة لتعزيز النفوذ في أي مفاوضات مستقبلية لتوحيد السلطة، خاصة في ظل الانقسام المستمر بين الشرق والغرب، حيث تقود الحكومة في طرابلس برئاسة عبدالحميد الدبيبة المشهد السياسي في الغرب.

كما يضيف القماطي بعدا إقليميا مهما، مشيرا إلى إمكانية استخدام هذه الطائرات لحماية خطوط إمداد عابرة للحدود، وهو ما يربط المشهد الليبي بتوازنات أوسع في الجوار، لاسيما في السودان، حيث تتداخل المصالح الأمنية والعسكرية.

ويعكس هذا الامتداد الإقليمي أن ليبيا لم تعد ساحة صراع داخلي فحسب، بل جزءا من شبكة نزاعات مترابطة تستخدم فيها أدوات عسكرية متقدمة لتحقيق أهداف تتجاوز الحدود الوطنية.

غير أن هذا التعزيز العسكري يثير تساؤلات جوهرية حول القدرة التشغيلية. فالقماطي نفسه يلفت إلى أن قوات حفتر لا تُعرف بامتلاكها الخبرة التقنية اللازمة لتشغيل هذا النوع من المسيّرات، ليبقى السؤال المفتوح: من يديرها فعليًا؟ هذا السؤال يعيد إلى الواجهة نمط "الحرب بالوكالة"، حيث تلعب الأطراف الخارجية دورا مباشرا أو غير مباشر في تشغيل المنظومات العسكرية المتقدمة.

ويتقاطع هذا الطرح مع تقديرات خبراء عسكريين راجعوا صور الأقمار الصناعية، من بينهم فيم زفاينينبرغ وجيريمي بيني وجوزيف ديمبسي، الذين رجحوا أن تكون إحدى الطائرات من طراز "فيلونغ1-" الصينية، بينما تبدو الأخريان أقرب إلى طائرات "بيرقدار تي بي2" التركية.

ولا يقتصر هذا التحديد التقني على توصيف نوع السلاح، بل يعكس مستوى متقدما من التكنولوجيا العسكرية التي تتطلب بنية تشغيلية معقدة، ما يعزز فرضية وجود دعم خارجي.

ويذهب محللون إلى أبعد من ذلك، مشيرين إلى أن خصائص الطائرة المرصودة، رغم تشابهها الجزئي مع طراز "وينغ لونغ"، ترجح أنها "فيلونغ1-" ، وهو نموذج متطور يجمع بين مهام الاستطلاع والهجوم. كما أن رصد معدات تحكم أرضية وأنظمة اتصالات متقدمة بالقرب من مواقع الطائرات يعزز الانطباع بأن هذه المنظومات تعمل ضمن شبكة متكاملة، وليس بشكل منفصل أو محدود.

وتكتسب فرضية الدعم الخارجي وزنا إضافيا مع ما أشارت إليه المحللة جاستينا جودزاوسكا، التي أكدت أن حفتر سعى على مدى سنوات للحصول على طائرات مسيّرة صينية، مستشهدة بمحاولات سابقة لتهريب معدات عسكرية إلى شرق ليبيا منذ عام 2019. كما أن حادثة مصادرة شحنة من قطع غيار مسيّرات في إيطاليا عام 2024، والتي تبين لاحقا أنها تتطابق مع أجزاء من طائرات "فيلونغ1- ، تعكس وجود مسارات غير رسمية لتدفق هذا النوع من التكنولوجيا، رغم الحظر الدولي.

ويكشف هذا السياق التاريخي أن ما يحدث اليوم ليس تطورا مفاجئا، بل نتيجة تراكم طويل من محاولات بناء قوة جوية قائمة على الطائرات المسيّرة، خاصة بعد تراجع هذا النوع من القدرات لدى قوات حفتر منذ عام 2020، عندما غادرت طائرات "وينغ لونغ 2" قاعدة الخادم.

وبالتالي، فإن إدخال المسيّرات الجديدة يمثل محاولة لاستعادة هذا التفوق، أو على الأقل إعادة التوازن مع الطرف الآخر.

وعلى المستوى الدولي، يسلط هذا التطور الضوء على محدودية فاعلية الحظر الذي تفرضه الأمم المتحدة منذ عام 2011. فرغم وجود آليات رقابة ولجنة خبراء، فإن استمرار تدفق الأسلحة المتطورة إلى ليبيا يعكس فجوة واضحة بين القرارات الأممية والواقع الميداني.

كما أن عدم وضوح الجهة التي قامت بتوريد هذه المسيّرات، وغياب أي تأكيد بشأن الحصول على استثناءات رسمية، يفتحان الباب أمام احتمال وجود تفاهمات غير معلنة، أو على الأقل تساهل في تطبيق القيود.

وفي هذا الإطار يمكن قراءة هذه التطورات ضمن سياق أوسع من إعادة التموضع الإقليمي، حيث لم تعد الاصطفافات حادة كما كانت خلال سنوات الحرب. فإدخال مسيّرات تركية الصنع إلى جانب الصينية يحمل دلالة سياسية لافتة، خاصة في ظل التحسن النسبي في العلاقات بين أنقرة ومعسكر الشرق.

ويعكس هذا التحول براغماتية متزايدة في سياسات تركيا، التي تسعى إلى حماية مصالحها الاقتصادية والطاقة في ليبيا، حتى لو تطلب ذلك الانفتاح على أطراف كانت تُعد سابقا خصوما.

ويؤشر هذا التداخل في مصادر التسليح على وجود مشهد أكثر تعقيدا، حيث تتقاطع المصالح بدلاً من الاصطفافات الثنائية التقليدية. فليبيا لم تعد مجرد ساحة صراع بين معسكرين، بل فضاء مفتوحا لتوازنات متعددة، تستخدم فيه القوى الإقليمية والدولية أدوات مختلفة، من بينها الطائرات المسيّرة، لتعزيز نفوذها دون الانخراط في مواجهة مباشرة.

ولا يمكن قراءة هذه التطورات باعتبارها مجرد خرق تقني لحظر السلاح، بل بوصفها مؤشرا على مرحلة جديدة من إعادة تشكيل موازين القوى في ليبيا. فتعزيز القدرات الجوية لحفتر، مدعوما بقراءات الخبراء والمعطيات الميدانية، يمنحه تفوقا نسبيا يعزز موقعه السياسي والعسكري، لكنه في الوقت ذاته يعمّق اعتماد الصراع على الفاعلين الخارجيين.

وبينما تبدو الجبهات هادئة نسبيا منذ وقف إطلاق النار، فإن إدخال تكنولوجيا عسكرية متقدمة مثل المسيّرات يعكس استعدادا ضمنيا لاحتمالات التصعيد، أو على الأقل استخدام القوة كأداة ضغط في المفاوضات.

وهكذا، تبقى ليبيا عالقة في معادلة "الهدنة المسلحة"، حيث يستمر التسلح بصمت، وتُعاد صياغة موازين القوى بعيدا عن الأضواء، في انتظار لحظة قد تعيد تفجير الصراع أو فرض تسوية جديدة بشروط مختلفة.

سلاح ذو حدين

استمرار الهجمات الصاروخية الإيرانية يزيد الضغط على أميركا للدفاع عن الخليج

واشنطن تدرس تحويل صواريخ اعتراضية مخصصة لأوكرانيا إلى منطقة الخليج

واشنطن - انطلقت إحدى أعنف الهجمات الصاروخية الباليستية الإيرانية ضد أهداف خليجية منذ بدء الحرب، وبرز تطور لافت تمثل في الارتفاع الكبير في فعالية الضربات التي أدت إلى تدمير ما لا يقل عن 2400 صاروخ اعتراضي، وهو رقم يقترب من حجم المخزونات المعروفة قبل اندلاع النزاع.

وعلى الرغم من استمرار الغارات الجوية الأميركية والإسرائيلية، تشير تقارير رسمية غير شاملة صادرة عن دول الخليج إلى أن إيران أطلقت منذ 28 فبراير ما يقارب 1200 صاروخ باليستي و4 آلاف صاروخ كروز من طراز "شاهد" بدائي الصنع.

وأوضحت كيلي غريكو، الباحثة في مركز ستيمسون، أن غياب الدعم الأميركي الفعال كان سيترك معظم دول الخليج دون قدرة تُذكر على الدفاع عن نفسها في مواجهة الصواريخ الإيرانية.

وميدانيا، شهد الأسبوع الماضي استهداف قاعدة الأمير سلطان الجوية في المملكة العربية السعودية بهجوم صاروخي، أسفر عن إصابة عدد من الجنود وإلحاق أضرار بعدة طائرات، من بينها طائرة الإنذار المبكر والتحكم الجوي "إي – 3 سينتري" ذات القيمة الاستراتيجية العالية.

كما تصاعدت وتيرة الضربات خلال يومي السبت والأحد، حيث وصلت إلى نحو 40 عملية إطلاق صاروخي، أي ما يعادل ضعف المعدل اليومي المعتاد.

وتعتمد عقيدة الدفاع الصاروخي الباليستي على مبدأ إطلاق صاروخين اعتراضيين على الأقل لكل هدف، ضمن ما يُعرف بنهج "الإطلاق – الإطلاق – المراقبة"، حيث تُطلق الأطقم صاروخين ثم تُقيّم النتائج.

ووفقا لهذا النهج، يُقدَّر أن ما لا يقل عن 2400 صاروخ اعتراضي قد أُطلق خلال الحرب، مع احتمال أن يكون العدد الفعلي أعلى بكثير نتيجة الحاجة أحيانا إلى صواريخ إضافية لاعتراض المقذوفات.

وقد شكّلت صواريخ "باتريوت" بنوعيها باك – 3 وجيم – تي الغالبية العظمى من هذه الاعتراضات، في وقت لم تكن تمتلك فيه دول الخليج سوى أقل من 2800 صاروخ من هذه الفئة قبل الحرب، وفقا لتراخيص المبيعات العسكرية الخارجية الأميركية وتقديرات خبراء ومصادر مطلعة.

وأكدت وزارة الدفاع الأميركية، من جانبها، امتلاكها الذخائر اللازمة لتنفيذ مهامها، إلا أن وثائق المبيعات العسكرية الخارجية تُظهر أعداد الصواريخ المطلوبة أو المصرح بها، وليس بالضرورة تلك التي سيمكن تسليمها فعليا.

صواريخ اعتراضية تشهد استنزافا

وفي هذا الإطار، تنتج شركة لوكهيد مارتن نحو 650 صاروخا اعتراضيا من طراز باك – 3 سنويا، وقد وقّعت اتفاقية في يناير لرفع الإنتاج إلى ألفي صاروخ سنويا بحلول عام 2030.

كما تُنتج 96 صاروخا من طراز ثاد سنويا، مع خطة لزيادة الإنتاج إلى 400 صاروخ.

> استمرار الانخراط الأميركي في الحرب مع إيران سيضع ضغطا كبيرا على مخزونات الجيش الأميركي من الذخائر والمعدات

وفي موازاة ذلك، أفاد مصدر مطلع، طلب عدم الكشف عن هويته نظرا لحساسية الموضوع، لوكالة بلومبيرغ، بأن الولايات المتحدة أطلقت مئات الصواريخ من طراز "توماهوك"، التي تبلغ قيمة الواحد منها نحو مليوني دولار، إضافة إلى أكثر من ألف صاروخ من طراز جاسم الأكثر تخفيا، والتي تصل كلفة الواحد منها إلى 1.5 مليون دولار.

ورغم التحول الجزئي نحو استخدام ذخائر الهجوم المباشر المشتركة الأقل تكلفة، لا تزال صواريخ كروز تُستخدم بكثافة نظرا لاستمرار خطورة أجزاء من المجال الجوي الإيراني على العمليات القريبة.

وتشير التقديرات إلى أن الولايات المتحدة كانت تمتلك نحو 4000 صاروخ "توماهوك" قبل الحرب، في حين تنتج شركة آر.تي.إكس نحو 100 صاروخ سنويا.

وبالمقابل، تستطيع شركة لوكهيد مارتن إنتاج ما يصل إلى 860 صاروخ جاسم سنويا، وفق وثائق حكومية.

وتتميّز هذه الصواريخ بقدرتها على الطيران لمسافات طويلة، واختراق الدفاعات الجوية، وضرب أهداف صغيرة بدقة عالية، ممّا يجعلها عنصرا حاسما في أي مواجهة مع خصم متطور مثل الصين.

واعتبر بيتر لايتون، الضابط السابق في سلاح الجو الملكي الأسترالي والباحث الزائر في معهد غريفيث آسيا، أن السماح بتآكل مخزون هذه الأسلحة يعكس افتراضا ضمنيا بعدم الحاجة إلى مواجهة مباشرة مع الصين، أو توقع تحقيق نصر سريع في حال وقوعها.

وأضاف أن هذا التوجه يحمل دلالة استراتيجية واضحة، مفادها أن إدارة دونالد ترامب تضع إيران في صدارة أولوياتها، وهي مستعدة لتوظيف مواردها بشكل مكثف في هذا الصراع.

وقد أثار هذا الاستنزاف في الذخائر قلق حلفاء الولايات المتحدة، في ظل إعادة توجيه أنظمة الأسلحة لدعم العمليات ضد إيران.

وذكرت صحيفة "واشنطن بوست" أن وزارة الدفاع الأميركية تدرس تحويل شحنات أسلحة كانت مخصصة لأوكرانيا إلى منطقة الخليج، بما في ذلك صواريخ اعتراضية.

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

البنوك المركزية تواجه معضلة عودة التضخم

أسعار الفائدة ستصعد مع ارتفاع توقعات الأسعار وجميع الإجراءات لها أوجه قصور ما يجعل التقدير ضروريا

تجد البنوك المركزية نفسها أمام معضلة متجددة مع عودة الضغوط التضخمية إلى الواجهة، في وقت لم يكتمل فيه بعد التعافي الاقتصادي العالمي من تداعيات الأزمات السابقة. فبعد فترة من التشديد النقدي لكبح الأسعار، بدأت مؤشرات التضخم تُظهر علامات عودة تدريجية، مدفوعة بعوامل متشابكة.

فهم اتجاهات الأسعار أمر معقد

لندن - قد يحاول محافظو البنوك المركزية في العالم تحقيق المستحيل: فهم عقلية المديرين التنفيذيين، والنقابات العمالية، والأسر العادية في الوقت الفعلي، لفهم كيفية تعاملهم مع أوضاعهم المالية في ظل صدمة طاقة جديدة.

ويزداد التحدي تعقيدًا أمام صانعي السياسات النقدية، الذين باتوا مطالبين بالموازنة بين احتواء التضخم من جهة، وتجنب إبطاء النمو الاقتصادي أو دفعه نحو الركود من جهة أخرى.

وبين هذا وذاك، تبرز تساؤلات جوهرية حول مدى قدرة الأدوات التقليدية على التعامل مع موجة تضخمية جديدة قد تكون مختلفة في طبيعتها وأسبابها عن سابقاتها.

توم باركين

رفع الأسعار مرتبط ببدء توقعات التضخم بالتحرك أخيرا

إيزابيل شنابل

بعد فترة تضخم مؤلمة، التوقعات أصبحت أكثر هشاشة

أندرو بيلي

إحدى الرسائل المتكررة ضعف القدرة على تحديد الأسعار

ويدرس صناع السياسات رفع أسعار الفائدة لمكافحة التضخم المتزايد. لكنهم لن يُقدموا على هذه الخطوة إلا إذا اعتقدوا أن ارتفاع تكاليف الطاقة الناجم عن الحرب الإيرانية سينعكس على أسعار أخرى، مما سيرفع توقعات التضخم في الاقتصاد بأكمله.

وتكمن المشكلة في أن قياس هذه التوقعات أمر بالغ الصعوبة. وتمتلك البنوك المركزية مجموعة كبيرة من الاستطلاعات والمؤشرات، لكن جميعها تعاني من ثغرات، إن لم تكن عيوبًا جوهرية.

ومنذ جائحة كوفيد – 19، طورت هذه البنوك أدوات جديدة لسدّ النقص في البيانات المتعلقة بالسلوك. إلا أن قياس التوقعات لا يزال أقرب إلى الفن منه إلى العلم الدقيق.

وقد يؤدي ذلك إلى رفع معايير رفع أسعار الفائدة، إذ يتوخى صناع السياسات الحذر من القرارات المبنية على الحدس، ويفضلون عادةً انتظار المزيد من الأدلة لتقليل مخاطر الخطأ في السياسة النقدية.

ومنذ ذروة التضخم في عام 2022 في أعقاب اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية تغيرت السلوكيات في مواجهة هذه المشكلة.

وأقرّ صناع السياسات في بنك كندا المركزي بأن حالة عدم اليقين العالمية تعني أنهم "سيحتاجون إلى الاعتماد على التقدير بشكل أكبر من المعتاد" لرسم مسار الاقتصاد، وذلك وفقًا لمحضر اجتماعهم المنعقد في 18 مارس، والذي أبقى فيه البنك أسعار الفائدة ثابتة.

ويصف آخرون الجهد المبذول في هذه العملية. وقال توم باركين، رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي الأميركي) في ريتشموند، "أبذل قصارى جهدي لفهم طريقة تفكير واضعي الأسعار وكيف ينظرون إلى الوضع، محاولًا معايرة ثقتهم في قدرتهم على تحديد الأسعار".

وأضاف لوكالة رويترز "سيكون رفع الأسعار مرتبطًا ببدء توقعات التضخم بالتحرك أخيرًا. لا أرى أنها قد تجاوزت الحد المسموح به حتى الآن".

ومن بين التعقيدات أن السلوكيات تتغير، ففي عام 2022، لم تكن لدى المستهلكين والشركات خبرة تُذكر بالتضخم السريع، مما جعل تحديد الأسعار والأجور عملية جامدة إلى حد ما.

وقالت إيزابيل شنابل، عضو مجلس إدارة البنك المركزي الأوروبي، في محاضرة جامعية الجمعة الماضي "لكن الآن، بعد أن عاش الناس فترة تضخم مؤلمة، قد يعني هذا أن توقعات التضخم أصبحت أكثر هشاشة، وبالتالي قد تكون أكثر حساسية لصدمة أسعار الطاقة".

وأوضحت شنابل أن تغيير أسعار البيع كان عملية معقدة بالنسبة للشركات قبل الجائحة، ولذلك اقتصرت على تعديلات واحدة سنويًا في أغلب الأحيان. لكن هذا الوضع أصبح غير قابل للاستمرار، فارتفعت وتيرة التغييرات بشكل كبير.

وهذا يجعل تكرار هذه التغييرات، وليس حجمها فقط، مؤشرًا جيدًا على تحول التوقعات، بحسب العديد من المحللين.

وتقليديًا، اعتمدت البنوك المركزية على استطلاعات الرأي ومؤشرات السوق لتقييم التوقعات. إلا أن هذه الاستطلاعات لا تُجرى بوتيرة كافية لرصد التغيرات السريعة، وغالبًا ما يكون أفقها الزمني غير متوافق مع أفق صانعي السياسات.

كما أن مؤشرات السوق للتضخم المتوقع غير دقيقة، لأنها تتضمن العائد الإضافي، أو علاوة المخاطرة، التي يطلبها المستثمرون مقابل الاحتفاظ بأداة مالية معينة. ويتغير هذا العائد بتغير معنويات السوق، مما يُخفي التحولات في توقعات الأسعار الفعلية.

ويبدو أن المخاطر كبيرة، إذ يتوقع المستثمرون الآن أن يرفع البنك المركزي الأوروبي أسعار الفائدة مرتين أو ثلاث مرات هذا العام، وبنك إنجلترا مرتين، وقد تخلوا عن أي تخفيضات في أسعار الفائدة من قبل الاحتياطي الفيدرالي في عام 2026.

وللتعويض عن هذه الفجوات المعلوماتية، طورت البنوك المركزية مجموعة من الأدوات الجديدة. فهي تتعقب التغيرات المتوقعة في الأجور، بما في ذلك من خلال اتفاقيات الأجور الرئيسية التي تُعلنها النقابات، والتي قد تُشكل إشارة للآخرين الذين يتفاوضون على أجورهم.

وتجري استطلاعات رأي مباشرة مع الشركات. ويتواصلون مع المديرين التنفيذيين لتقييم السلوك المتوقع، ويعتمدون على عدد متزايد من الدراسات الاستقصائية الخارجية التي تتضمن مؤشرات استشرافية.

ويتابع موظفو البنوك المركزية وتيرة تغيرات الأسعار، ويصححون الدراسات الاستقصائية الحالية لسد الثغرات في البيانات.

كما يراجعون نماذج التوقعات الخاصة بهم لمعالجة أوجه القصور التي أغفلت الارتفاع الحاد في التضخم في عام 2022 الناجم عن الجائحة والحرب الأوكرانية.

ويُعدّ فهم كيفية اختلاف صدمة التضخم الحالية عن تلك التي حدثت قبل أربع سنوات عاملاً أساسياً في تقييمهم للوضع. ويبدو أن الإجماع على ذلك راسخ: فالظروف مختلفة جوهرياً.

وأسعار الفائدة أعلى بالفعل، والإنفاق الحكومي أكثر صرامة، وهناك ركود متزايد في سوق العمل، وعلى عكس ما كان عليه الحال أثناء الجائحة، حين لم يكن بإمكانهم الإنفاق، فإن الأسر لا تملك فائضاً نقدياً كبيراً.

وقال محافظ بنك إنجلترا أندرو بيلي لرويترز "تدخل هذه المرحلة في ظل انخفاض تدريجي للتضخم، وتراجع في سوق العمل، ونمو أقل بقليل من إمكاناته".

وأضاف "إحدى الرسائل المتكررة التي نتلقاها من الشركات هي ضعف القدرة على تحديد الأسعار في معظم قطاعات الاقتصاد".

وبفضل فهمهم المتعمق، تبدي البنوك المركزية حاليًا ثقة بأن توقعات التضخم على المدى الطويل ثابتة حول أهدافها.

لكن كلما طالت الحرب، زادت احتمالية ارتفاع أسعار الطاقة، ومع ارتفاع تكاليف المعيشة اليومية، مثل وقود السيارات، يزداد احتمال ارتفاع توقعات التضخم. ولن يتضح متى سيحدث ذلك بالضبط، مما يترك لصناع السياسات تقدير الوضع بأنفسهم.

وقال بريموز دولينك، مسؤول السياسات في البنك المركزي الأوروبي، "علم الاقتصاد ليس علمًا دقيقًا. فهو يعتمد بالطبع على التحليلات، ولكنه يتضمن أيضًا، بحكم تعريفه، عنصرًا من الإدراك والحكم".

التوتر الإقليمي يستنزف مدخرات تركيا من الذهب

أنقرة - تجد تركيا نفسها أمام اختبار اقتصادي جديد يضع احتياطياتها من الذهب في قلب المواجهة، في ظل تصاعد التوترات الإقليمية وتزايد انعكاساتها على الأسواق العالمية.

ومع ارتفاع كلفة الطاقة، وتزايد الضغوط على العملة المحلية، وتنامي حالة عدم اليقين في محيطها الجيوسياسي، باتت أنقرة تعتمد بشكل متزايد على مدخراتها الاستراتيجية من الذهب لتأمين السيولة ودعم الاستقرار المالي.

وهذا التوجه، وإن كان يعكس مرونة في إدارة الأزمات، يثير في الوقت ذاته تساؤلات حول كلفة الاستنزاف السريع لهذه الأصول، وحدود قدرة الاقتصاد التركي على امتصاص الصدمات في حال استمرار الاضطرابات الإقليمية لفترة أطول.

وفي تطور لافت يعكس حجم الضغوط التي تواجهها الأسواق المالية في تركيا، أظهرت بيانات حديثة تراجعًا حادًا في احتياطيات الذهب لدى البنك المركزي خلال فترة زمنية قصيرة.

ويرى خبراء أن هذه الخطوة ترتبط بمحاولات احتواء تداعيات التوترات الجيوسياسية وتهدئة تقلبات السوق ودعم العملة المحلية.

وانخفضت احتياطيات الذهب بمقدار 69.1 طن خلال أسبوع واحد فقط، لتستقر عند نحو 702.5 طن، ما يرفع إجمالي التراجع خلال أسبوعين إلى أكثر من 118 طنًا، وهو من أكبر الانخفاضات المسجلة منذ بدء نشر هذه البيانات بشكل منتظم في عام 2013.

ويعكس هذا التراجع تسارع وتيرة استخدام الذهب كأداة سيولة، سواء عبر البيع المباشر أو من خلال عمليات المبادلة، في ظل ظروف مالية واقتصادية دقيقة.

118

طنا من الذهب باعها البنك المركزي خلال الأسبوعين الماضيين ليبلغ الاحتياطي 702.5 طن

وتشير تقديرات مصرفية إلى أن البنك المركزي باع نحو 26 طنًا من الذهب خلال الأسبوع الماضي، في حين استخدم قرابة 42 طنًا في عمليات مقايضة، وهي آلية مالية تتيح الحصول على سيولة بالعملات الأجنبية مقابل الذهب دون التفريط الكامل في الأصول.

وباع المركزي واستبدل نحو 60 طناً من الذهب بقيمة تتجاوز 8 مليارات دولار، خلال أسبوعين بعد بدء الحرب في إيران، ما أضاف ضغوطاً هبوطية على أسعار المعدن النفيس.

وتُظهر احتياطيات الذهب لدى تركيا انخفاضاً بمقدار 6 أطنان في أسبوع 13 مارس، و52.4 طن إضافي في أسبوع 20 مارس، ما يشير إلى تراجع حاد في الاحتياطيات، وفقاً لأحدث البيانات المنشورة من قبل البنك المركزي.

وقد تم بيع جزء من هذه الكميات بشكل مباشر، بينما استُخدم الجزء الأكبر لتأمين العملات الأجنبية أو الليرة عبر اتفاقيات مبادلة، بحسب أشخاص مطلعين على الأمر. ورفض البنك المركزي التركي التعليق.

وعلى الرغم من عدم صدور تعليق رسمي على هذه الأرقام، فإنها تتماشى مع نمط متكرر في السياسات النقدية التركية خلال فترات الضغوط، حيث يتم اللجوء إلى الأصول الاحتياطية لتعزيز استقرار الأسواق.

أزمة الشرق الأوسط تختبر مرونة إمدادات الوقود في المغرب

الرباط - أعلنت وزارة الطاقة المغربية الخميس أن البلد يمتلك مخزوناً إستراتيجيًا من الوقود يوفّر هامش أمان نسبيًا في مواجهة اضطرابات الأسواق العالمية.

وبحسب الوزارة يكفي احتياطي الديزل لمدة 51 يومًا، فيما يغطي مخزون البنزين نحو 55 يومًا، في وقت تم فيه تأمين إمدادات الفحم والغاز الطبيعي حتى نهاية شهر يونيو المقبل.

ويأتي هذا الإعلان في سياق ضغوط غير مسبوقة على أسواق الطاقة العالمية، مدفوعة بتصاعد التوترات الجيوسياسية في الشرق الأوسط، والتي أدت إلى ارتفاع حاد في أسعار النفط خلال شهر مارس، ما انعكس بشكل مباشر على الدول المستوردة للطاقة، وفي مقدمتها المغرب.

ويُعدّ هذا الوضع أكثر حساسية بالنظر إلى اعتماد المملكة شبه الكامل على واردات المنتجات النفطية، في ظل غياب قدرات التكرير المحلية منذ إغلاق المصفاة الوحيدة عام 2015 نتيجة أزمات مالية.

وقد انعكست هذه التطورات سريعًا على السوق المحلية، حيث شهدت أسعار الديزل والبنزين زيادات لافتة قاربت 30 في المئة، مدفوعة بارتفاع كلفة الاستيراد وتزايد المخاطر المرتبطة بسلاسل الإمداد.

وقد رفعت محطات الوقود أسعار الديزل والبنزين بنحو 30 في المئة بعد أن فاقمت الهجمات الأميركية والإسرائيلية على إيران في نهاية فبراير الماضي التوتر في جميع أنحاء المنطقة.

وفي محاولة للحد من تأثير هذه الزيادات على القدرة الشرائية وعلى قطاع النقل أعادت الحكومة، التي ألغت دعم الديزل في عام 2014، تقديم الدعم لشركات النقل، بما في ذلك سيارات الأجرة والحافلات والشاحنات، للحفاظ على استقرار الأسعار.

وفي مواجهة هذه التحديات تراهن السلطات على سياسة تنويع مصادر التزود بالطاقة، حيث تم تعزيز الواردات من الأسواق الأوروبية والولايات المتحدة، وهو ما ساهم، وفق وزارة الطاقة، في التخفيف من حدة الصدمات الخارجية وتقليص مخاطر الاعتماد على موردين محدودين.

احتياطي الديزل يكفي لمدة 51 يومًا، فيما يغطي مخزون البنزين نحو 55 يوما

كما يواصل المغرب إدارة مزيجه من الطاقة بشكل متوازن، إذ لا يزال الفحم يشكل المصدر الرئيسي لإنتاج الكهرباء، مقابل مساهمة متنامية للطاقة المتجددة، خاصة الرياح والطاقة الشمسية، إلى جانب حصة أقل للغاز الطبيعي.

ويشكل الفحم نحو 60 في المئة من إنتاج الكهرباء في المغرب، مقارنةً مع 10 في المئة من الغاز الطبيعي و25 في المئة من طاقة الرياح والطاقة الشمسية، وفقا لهيئة تنظيم الكهرباء.

ورغم تسجيل ارتفاع في أسعار الفحم على خلفية التوترات الدولية، تؤكد السلطات أن الإمدادات الحالية مؤمّنة على المدى القريب، مع التحضير لإطلاق طلبات عروض جديدة لتغطية احتياجات الفترات المقبلة.

كما ساهم تحسن الموارد المائية وارتفاع منسوب السدود في تعزيز إنتاج الطاقة الكهرومائية، ما أدى إلى تراجع استهلاك الغاز الطبيعي خلال الربع الأول من العام.

ويعتمد المغرب في جزء مهم من إمداداته من الغاز على البنية التحتية الإسبانية، حيث يتم استيراده مسالا وإعادة ضخه عبر أنبوب كان مخصصًا سابقًا لنقل الغاز الجزائري، في إطار ترتيبات لوجستية جديدة فرضتها التحولات الإقليمية.

ورغم تدخل الحكومة عبر آليات الدعم، يظل قطاع المحروقات خاضعًا في جزء كبير منه لقواعد السوق، حيث تتولى شركات خاصة عمليات الاستيراد والتخزين والتوزيع، ما يجعل الأسعار المحلية عرضة لتقلبات الأسواق الدولية.

وحذّرت وزارة المالية من أن استمرار التوترات قد يؤدي إلى ضغوط تضخمية إضافية، خاصة في ظل الفجوة الكبيرة بين السعر المعتمد في إعداد ميزانية 2026، والمحدد في 60 دولارًا للبرميل، وبين الأسعار الفعلية في الأسواق العالمية التي تجاوزت 100 دولار.

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

«السفارة 87».. إم.بي.سي تستعيد قصة اختطاف الحرس الثوري للقنصل السعودي

القوة الناعمة والسرد التاريخي أصبحا ساحة معركة موازية للسياسة الإقليمية

التاريخ لا يمحى

تكشف المسلسلات عن طبيعة العلاقات بين الدول: فالتهدئة الإعلامية كانت تكتيكية وليست استراتيجية، وما إن تبينت النوايا الحقيقية حتى عادت الأعمال الدرامية لتروي الرواية السعودية بكل جرأة.

الرياض - تستعيد المملكة العربية السعودية، عبر منصة "شاهد"، قصة قنصلها الذي اختُطف في طهران عام 1987 على يد الحرس الثوري الإيراني، في مسلسل درامي بعنوان "السفارة 87" يُعرض ابتداءً من 3 أبريل، في خطوة تُبرز محاولات سعودية لاستخدام القوة الناعمة في تشكيل الوعي الجماعي وإعادة صياغة الروايات التاريخية.

يستند العمل الدرامي، الذي أنتجته استوديوهات أم.بي.سي وأخرجه البريطاني كولين تيغ (مخرج مسلسل "رشاش")، إلى أحداث حقيقية شهدتها السفارة السعودية في طهران عقب أحداث الحج المأساوية في مكة المكرمة صيف 1987.

> المسلسل صُوّر قبل أربع سنوات، لكنه لم يعرض لأسباب سياسية خاصة بعد المصالحة السعودية الإيرانية

ويروي المسلسل، المكوّن من ست حلقات، تحول القنصل السعودي خالد القسام من دبلوماسي إلى رهينة سياسية بعد اختطافه على يد عناصر الحرس الثوري الإيراني، وسط توترات دبلوماسية حادة أعقبت تظاهرات إيرانية أدت إلى سقوط مئات الضحايا.

ويبرز العمل "شجاعة الدبلوماسيين السعوديين في حماية الوثائق السرية والحفاظ على كرامة الوطن تحت الضغط".

وأعلنت أم.بي.سي عن بدء العرض الحصري يوم الجمعة 3 أبريل على منصة شاهد، مشددة على أن العمل "مبني على أحداث حقيقية" ويسلط الضوء على "بطولات العاملين في السفارة".

وأوضحت أن العمل يعيد فتح "ملفات العام 1987 وخبايا الحرس الثوري".

ولفت معلقون إلى توقيت العرض وسط التوترات الإقليمية الراهنة مع إيران. وقالت مصادر مشيرة إلى المسلسل "صُوّر قبل أربع سنوات في أبوظبي"، لكنه لم يعرض لأسباب سياسية خاصة بعد المصالحة السعودية – الإيرانية بوساطة صينية.

ووصفت تغريدات أخرى على منصة إكس المسلسل بأنه "قصة بطولة وصمود" تستحق أن تُروى.

ويأتي هذا الإنتاج في إطار استراتيجية سعودية أوسع تعتمد على القوة الناعمة لتعزيز الوعي الوطني وتوثيق التاريخ الدبلوماسي.

ومن خلال الدراما التلفزيونية والمنصات الرقمية، تسعى الرياض إلى إعادة سرد أحداث تاريخية حساسة بطريقة تجمع بين الترفيه والتثقيف، مما يساهم في تشكيل الوعي العام حول التحديات التي واجهتها المملكة ودور دبلوماسييها في الحفاظ على السيادة.

يرى مراقبون أن مثل هذه الأعمال تُعد أداة فعالة في الدبلوماسية الثقافية، خاصة في ظل المنافسة الإقليمية على السرديات التاريخية.

ويشارك في بطولة "السفارة 87" نخبة من الممثلين السعوديين والعرب، منهم محسن منصور ومحمد القس وريم الحبيب وعزيز غرباوي، في عمل يُنتظر أن يحظى بمتابعة واسعة داخل المملكة وخارجها.

ومع اقتراب موعد العرض، تتزايد التفاعلات على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يرى الكثيرون فيه فرصة لاستعادة الذاكرة الجماعية لصفحة مهمة من تاريخ العلاقات السعودية – الإيرانية.

وقال معلق:

@Eyaaaad

هذا مسلسل اسمه «السفارة 87» وهو مستوحى من قصة حقيقية لتعرّض سفارة المملكة في طهران لهجوم بعد حادثة الحرم عام 1987.
الدبلوماسيين داخل السفارة وقفوا وقفة رجل واحد وما تخلّوا عن واجبهم حتى آخر لحظة. العرض يبدأ يوم 3 إبريل على MBC شاهد

وكتب آخر:

@ayman999

«صوّر قبل 4 سنوات في أبوظبي».. الجمعة العرض الأول لفيلم «السفارة 87» الذي يروي أشهر أزمة حقيقية بين السعودية وإيران..

وكتب القنصل في تغريدة:

@redaalnuzha

إلى الاخوة والأخوات الاعزاء الذين تساءلوا عن الاسم الحقيقي لشخصية من سوف يقوم بدور القنصل في مسلسل (#السفارة87). بكل تواضع اقول بأني أنا هو ذلك القنصل الذي تعرض للتعذيب والخطف والاعتقال والسجن عندما كنت قنصلا للسعودية في ايران عام 87.

يذكر أن الفترة التي أعقبت المصالحة السعودية – الإيرانية في مارس 2023، شهدت تهدئة إعلامية ملحوظة، حيث خففت وسائل الإعلام السعودية من حدة الخطاب المباشر تجاه إيران، وتأجل عرض العديد من الأعمال الدرامية التي تتناول أحداثًا تاريخية حساسة بين البلدين.

كانت هذه التهدئة جزءًا من التوافق الدبلوماسي الذي ركز على خفض التوتر في المنطقة، خاصة في الملفات اليمنية والإقليمية. ومع ذلك، لم تكن التهدئة شاملة، بل جاءت كـ"هدنة إعلامية" مؤقتة، انعكست في تأجيل أعمال مثل "السفارة 87 و"معاوية" التي صُوّرت قبل المصالحة.

وأنتج مسلسل "معاوية" بميزانية ضخمة وأجّل عرضه لسنوات بسبب المصالحة، ثم عُرض في رمضان 2025 رغم الحظر الإيراني والعراقي له. أثار المسلسل جدلاً طائفيًا واسعًا لتناوله شخصية الصحابي معاوية بن أبي سفيان برواية سعودية جديدة، مما دفع إيران إلى منع دبلجته وبثه.

وفي المقابل، حُجبت أعمال أخرى تمامًا أو أُجّلت إلى أجل غير مسمى خلال فترة التهدئة، مثل بعض الإنتاجات التي تتناول التدخلات الإيرانية في المنطقة. أما "السفارة 87" فقد نجا من الحجب النهائي وعُرض بعد سنوات التصوير، ليصبح دليلاً على عودة الدراما كأداة في تشكيل الوعي الوطني والإقليمي.

ومع تبيان حدود المصالحة وتحولها إلى مجرد "هدنة شكلية" أمام تصاعد التوترات الإقليمية الجديدة، عادت الدراما السعودية لتستعيد زمام المبادرة.

ويرى مراقبون أن هذا التوقيت ليس مصادفة، بل رسالة مفادها أن الذاكرة التاريخية لا تُمحى، وأن السعودية لم تعد ملتزمة بقيود التهدئة الإعلامية السابقة بعد أن أظهرت الأحداث حقيقة النوايا الإيرانية في المنطقة.

غرف الأخبار تُحيي أرشيفها.. لحظة زمنية تُجيب على أسئلة الحاضر

لندن - الصحافة، بطبيعتها، قابلة للزوال. تُقدّر قيمة المقال بحداثته، وفي أحسن الأحوال ينتشر لبضعة أسابيع، ثم يختفي في الأرشيف. قد يُستخدم هذا الأرشيف كقاعدة بيانات داخلية للصحفيين، وربما تظهر بعض المقالات مجددًا عبر البحث، لكن في الغالب يبقى (سواءً كان ورقيًا أو رقميًا) في صناديق مُغبرة في غرفة خلفية.

لكن مع سعي المؤسسات الإخبارية لإيجاد طرق لمواجهة إرهاق الأخبار وجذب جماهير جديدة، تُجرّب بعض غرف الأخبار كيفية إعادة توظيف هذه الأرشيفات.

تحدث صحفيون في مجلة الإيكونوميست، وشارلي إيبدو، وريترو نيوز، وأرشيفينغ لرويترز حول كيفية استخدامهم لأرشيفاتهم كمصدر للقصص الجديدة، ووسيلة لنقل هويتهم التحريرية، وكخدمة لقرائهم وصحفييهم على حد سواء.

قال فريزر ماكيلريث، المراسل الأجنبي في مجلة الإيكونوميست إن الفريق يُعيد بين الحين والآخر نشر مقالات قديمة قيّمة، فيُقرن، على سبيل المثال، مراجعتهم الأصلية لرواية "مرتفعات وذرينغ" عام 1848 ("إنها مثيرة للاهتمام، بلا شك، لكن هذا الاهتمام ليس مُرضيًا") بمراجعة لفيلمها المُقتبس عام 2026، أو يُعيدون نشر مقالهم عام 1981 حول محاولة اغتيال رونالد ريغان في أعقاب محاولة اغتيال دونالد ترامب عام 2024.

وقال "إنها طريقة للخروج من دائرة الأخبار ومنح القراء شيئًا يُقدم منظورًا مختلفًا للأحداث المعاصرة. كما أنها تحتوي على كتابات رائعة حقًا". لكن لإعادة النشر المباشر حدودها.

وأضاف "الكثير من هذه المقالات من الأرشيف قد تكون عصية على الفهم بالنسبة إلى القراء المعاصرين. غالبًا ما تحتاج إلى توجيههم، وشرح الشخصيات المختلفة، وتقديم أشخاص قد يُذكرون لولا ذلك دون أي سياق".

بدأ الفريق مؤخرًا بتجربة إعادة توظيف أرشيفه في منتجات تحريرية جديدة كليًا. انطلق بمسابقة "داتلاين" الأسبوعية، وهي لعبة تتحدى القراء لتخمين السنة التي كُتبت فيها مقتطفات محددة من الأرشيف.

ولاقت هذه المسابقة رواجًا بين المشتركين، فتبعتها تجارب أوسع، مثل مشروع "أرشيف 1945". باستخدام تقارير أصلية من أرشيف مجلة الإيكونوميست أنشأ ماكيلريث وزملاؤه خطًا زمنيًا تفاعليًا يستعرض أحداث عام 1945 أسبوعًا بعد أسبوع، إلى جانب مقالات لمؤرخين ضيوف، ومقاطع فيديو، وصور، وخرائط لإضافة سياق. كانت الفكرة هي خلق شعور بإعادة عيش تلك الأحداث في الوقت الفعلي خلال عام 2025.

قال ماكيلريث "كانت هذه طريقة لإضفاء الحيوية على ما هو في الأساس أرشيف تاريخي ثابت، من خلال منحه إيقاعًا أسبوعيًا".

أعجب القراء بذلك أيضًا، فأطلقوا مشروع "أميركا في 250 عامًا"، وهو مشروع زمني آخر يستخدم حاليًا أرشيف المجلة لتتبع تاريخ الولايات المتحدة عبر سبعة فصول شهرية.

وأضاف "يُتيح المشروع التراجع خطوة إلى الوراء ورؤية أن الولايات المتحدة مرت بفترات انقسام واضطراب شديدة من قبل، ونجحت في تجاوزها. بل قد يجعلك أكثر تفاؤلًا بشأن الحاضر مما كنت عليه في السابق".

ويُلاحظ تركيز مماثل على استخدام الأرشيفات للتأمل في الحاضر في موقع ريترو نيوز، وهو موقع أرشيف الصحافة التابع للمكتبة الوطنية الفرنسية. يستخدم فريق التحرير المكون من ثلاثة أعضاء المجموعة الضخمة من أرشيفات الصحافة الرقمية التابعة للمكتبة الوطنية الفرنسية لكتابة مقالات تربط الماضي بالأخبار المعاصرة.

وقالت ماري لو روش، رئيسة التحرير "تُجسّد أرشيفات الصحافة لحظةً زمنيةً، وتحديدًا منظور الصحيفة في تلك اللحظة، وهذا أمرٌ بالغ الأهمية".

وتُتيح أرشيفات الصحافة رؤيةً أكثر دقةً للأحداث الجارية، بل وتُضفي لمسةً جديدةً على مواضيع قد يتجاهلها الجمهور المُثقل بالأخبار اليومية.

بينما يُمكن تصفح مجموعة الأرشيف الأساسية لموقع ريترو نيوز مجانًا، فإن المحتوى التحريري متاحٌ باشتراكات، أغلبها تشتريها الجامعات والمكتبات. ويعتمد الموقع أيضًا على شراكات مع مؤسسات إخبارية رئيسية كوسيلة لإيصال تقاريره إلى جمهور أوسع.

يشمل ذلك ريترو سبورتس، وهي سلسلة أُنتجت بالتعاون مع صحيفة ليبراسيون الوطنية خلال دورة الألعاب الأولمبية في باريس 2024، والتي أعادت نشر تغطيتها لدورة الألعاب الأولمبية في باريس 1924، مُسلطةً الضوء، على سبيل المثال، على كيفية تشابه شكاوى الباريسيين قبل 100 عام بشأن استضافة الألعاب مع شكاوى باريسيين عام 2024، مثل الاكتظاظ وتأخيرات النقل والتكاليف.

وقد عقدوا شراكات مماثلة مع راديو فرنسا، حيث أنتجوا بودكاست تتناول كيفية تغطية الصحافة الفرنسية لأخبار الجريمة عبر التاريخ، ومع مجلة Géo بمناسبة الذكرى الثمانين لمحاكمة فيليب بيتان.

وكما فعل ماكيلريث، قالت لو روش "إن للعمل مع الأرشيفات أن يُغيّر منظورنا للأحداث الجارية"، مع أنها حذّرت من استخدام أرشيفات الصحافة للاستنتاجات المُفرطة حول الحاضر.

> أرشيفات الصحافة تُتيح رؤيةً أكثر دقةً للأحداث، وتُضفي لمسةً على مواضيع قد يتجاهلها الجمهور المُثقل بالأخبار اليومية

وقالت "أحيانًا يُقارن الناس السياسة الحالية بسياسة ثلاثينات القرن الماضي، على سبيل المثال. لكننا نُفضّل إشراك المؤرخين حتى لا نرسم مقارنات مُضلّلة. هدفنا هو توفير السياق، لا فرض مقارنات قسرية".

وترفع أرشيفينغ تحديا مماثلا في نيجيريا. فقد قام المشروع، الذي انطلق عام 2020، برقمنة آلاف الصحف النيجيرية لجعلها مُتاحة للصحفيين والجمهور. على غرار موقع ريترو نيوز، يهدف هذا المشروع إلى ربط هذه الأرشيفات بالحاضر وإضافة سياق وتفاصيل دقيقة للنقاشات العامة الجارية.

إضافةً إلى إنشاء قاعدة بيانات لأرشيفات الصحافة، يُطوّر الفريق منتجات تحريرية أصلية من المواد التي يُؤرشفها، مثل اللعبة التفاعلية التي تساعد القراء على فهم حجم الفساد الذي ارتكبه الجنرال ساني أباتشا، رئيس الدولة النيجيري الذي أُدين باختلاس 3.65 مليار دولار من أموال الدولة بين عامي 1993 و1998.

يقول فؤاد لاوال، كبير أمناء الأرشيف في أرشيفينغ، "عندما بدأنا المشروع اعتقدنا أن المواد الخام، أو ما يُشبه 'كبسولات الكاكاو' من المعلومات، هي الجزء الأكثر قيمة في العملية. لكن في الواقع ما يريده الناس هو 'الشوكولاتة': إجابات واضحة ورؤى مستمدة من تلك المواد الخام". بمعنى آخر، لا يكفي الوصول إلى الوثائق الأرشيفية وحدها لجذب اهتمام الناس.

ويعملون حاليًا على تطوير أداة تستخدم البيانات الأرشيفية لتتبع حوادث سرقة صناديق الاقتراع المتكررة خلال الانتخابات النيجيرية.

وعلى عكس منشورات أخرى مثل مجلة ذا أتلانتيك، التي عيّنت العام الماضي أول أمين أرشيف داخلي لها، لم يكن نهج مجلة الإيكونوميست مكلفًا من حيث الموارد، "يتولى هذه المهمة أشخاصٌ لديهم وظائف أخرى ويؤدونها في أوقات فراغهم. يبذل هؤلاء الأشخاص جهدًا كبيرًا ويخصصون وقتًا طويلًا، لكننا لم نشعر بالحاجة إلى محرر أرشيف متفرغ للإشراف على هذه المشاريع".

وقد ساهمت أدوات الذكاء الاصطناعي المتاحة بشكل متزايد في إعادة استخدام الأرشيفات بموارد قليلة نسبيًا.

تحدث كريس موران، رئيس التحرير المختص بالذكاء الاصطناعي التوليدي في صحيفة الغارديان، مؤخرًا عن كيفية استخدام فريقه لأدوات الذكاء الاصطناعي لبناء روبوت محادثة داخلي يُمكّن الصحفيين من الاستعلام عن الأرشيف، بالإضافة إلى تجربة أولية لصفحات الوسوم التي تستخلص البيانات من أرشيف الصحيفة لإنشاء ملخصات مُولّدة بالذكاء الاصطناعي للأحداث الماضية.

وبالمثل، استخدمت صحيفة إيكو دي بيرغامو، وهي صحيفة محلية في إيطاليا، الذكاء الاصطناعي لإعادة استخدام أكثر من 70 عامًا من نعوات الوفاة من أرشيفها لإنشاء قاعدة بيانات تُمكّن القراء من استكشاف تاريخهم المحلي والعائلي.

وقال لاوال "أول ما يمكن أن تبدأ به غرف الأخبار هو تسهيل وصول صحفييها إلى أرشيفاتها الداخلية إلى أقصى حد ممكن. من المهم ألا يشعر الصحفيون بأن الأرشيفات بعيدة أو معزولة".

إلى جانب المنتجات التحريرية، تستخدم بعض غرف الأخبار أرشيفاتها لسرد قصة الصحيفة نفسها. وأشارت لي لو روش إلى مثال من صحيفة لا كروا الفرنسية، التي نشرت قبل بضع سنوات ملفًا استخدمت فيه أرشيفاتها لمعالجة ماضي الصحيفة المعادي للسامية.

ويستخدم فريق مجلة شارلي إيبدو أرشيفاته للمساعدة في تدريب الصحفيين الجدد على وجه الخصوص، وهو ما بدا فكرة جيدة، لأنه إذا كانت هناك أي صحيفة لها تاريخ مؤثر ومعقد في الإعلام والمجتمع الفرنسي فهي شارلي إيبدو. ولطالما ارتبطت هذه الصحيفة الأسبوعية الساخرة بتيار عدائي وغير تقليدي من الجمهورية الفرنسية، ولا يزال الكثيرون يتذكرون أنها كانت هدفًا لهجوم إرهابي عام 2015 أسفر عن مقتل 12 شخصًا.

وقال جان لوب أدينور، نائب رئيس تحرير المجلة، "هذا يُتيح لهم القيام بأمرين: أولًا، فهم الموقف الأيديولوجي للصحيفة والقضايا التي دافعت عنها بشكل أفضل، وثانيًا الحصول على الإلهام من أسلوبنا وحرية الكتابة التي نتمتع بها هنا".

قصص قيمة يعاد نشرها

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

خطاب ترامب: سياسة النهايات المفتوحة

أداء باهت غابت عنه الحماسة

علي قاسم
كاتب سوري

في عالم السياسة الخارجية الأميركية، هناك نمط متكرر يتجاوز الإدارات والأجيال، يمكن تسميته "سياسة النهايات المفتوحة". هذا النمط لا يعني الفشل في تحقيق أهداف مؤقتة فحسب، بل يعني عدم القدرة على إنهاء الصراعات بشكل نهائي وحاسم –بل أيضا عدم الرغبة في القيام بذلك– تاركا وراءه فراغات سياسية واقتصادية وأمنية ممتدة تستمر عقودا. خطاب الرئيس دونالد ترامب الأخير حول الحرب على إيران يقدم مثالا حيّا ومقلقا على هذا النمط. بدلا من أن يعلن نهاية واضحة للعمليات العسكرية أو يرسم خطة خروج متماسكة، ترك الخطابُ البابَ مفتوحا على مصراعيه للفوضى، مع مزيج من التهديدات المتصاعدة والتلميحات الدبلوماسية المترددة، ما يعكس استمرار سياسة أميركية طويلة الأمد تحولت إلى سمة مميزة للتدخلات الأميركية في مختلف أنحاء العالم.

خطاب ترامب ليس استثناء في مسيرة رئيس معروف بتصريحاته المثيرة للجدل، بل هو حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الخطابات الرئاسية التي حاولت، وفشلت في صياغة نهاية مقنعة لحروب أميركية لا تنتهي. لفهم ما يجري اليوم، علينا أن نعود قليلا إلى الوراء، إلى تلك البصمات الدموية التي تركها الجيش الأميركي في أراض بعيدة، وإلى تلك العبارات التي ردّدها رؤساء أميركيون قبل ترامب، واعدين بالنصر أو الانسحاب أو "نهاية المهمة"، بينما ظلت النار مشتعلة.

فيتنام كانت الدرس الأول والأكثر إيلاما. خاضت أميركا حربا استمرت قرابة العقدين، وأنهتها ليس بانتصار عسكري، بل بانسحاب مخز من سقف السفارة في سايغون، وصور مروحية تقل آخر الدبلوماسيين بينما يترك الحلفاء لمصيرهم. النهاية كانت مفتوحة بالمعنى الأكثر قسوة: لم يعلن أحد النصر، ولم يقر أحد بالهزيمة، فقط غادر الأميركيون، وتركوا وراءهم فراغا سياسيا امتلأ بالحروب الأهلية والمعسكرات الجماعية. كوبا قدمت نموذجا آخر، حيث فشل غزو خليج الخنازير، ثم تحولت الجزيرة إلى جرح مفتوح في الجسد الأميركي لعقود، مع حصار وعقوبات لم تحقق أهدافها يوما. أفغانستان كانت المسرحية الأطول: عشرون عاما من الحرب، وألفان وثلاثمئة مليار دولار أنفقت، وآلاف الجنود قتلوا، لينتهي كل شيء بعودة طالبان إلى الحكم وكأن شيئا لم يكن، وليعلن الرئيس السابق جو بايدن لاحقا أن "المهمة اكتملت" بينما الطائرات الأميركية تغادر كابول تاركة وراءها أسلحة بمليارات الدولارات. العراق أيضا، ذلك البلد الذي دمرته حربان أميركيتان، لم يشهد نهاية حاسمة، بل انسحابا متسرعا عام 2011 أعقبته عودة القوات الأميركية بعد سنوات لمواجهة داعش، ثم بقاء مفتوحا بلا إستراتيجية واضحة. ليبيا وسوريا أكملتا الصورة: تدخلات سريعة، أهداف غامضة، ونهايات ترك فيها الأميركيون مسرح العمليات قبل أن تستقر الأمور، مخلّفين وراءهم فوضى خلاقة بالمعنى الحرفي، وفراغات سياسية امتلأت بالمتطرفين والحروب بالوكالة.

خطاب ترامب الأخير أعاد إنتاج هذا النمط ببراعة مؤسفة. من جهة، أطلق تهديدات متصاعدة بـ"دمار لم تروه من قبل"، محاولاً استعادة هيبة الردع الأميركي التي تضررت بعد عقود من النهايات المخزية. ومن جهة أخرى قدّم تسويات مترددة، داعيا إلى العودة إلى طاولة المفاوضات وكأن شيئا لم يحدث. أعلن أن المهمة "تقترب من نهايتها"، لكنه رفض تقديم أي جدول زمني أو أي خارطة طريق واضحة للخروج. قال إن إيران تم ردعها، لكنه لم يقدم ولو دليلا واحدا على أن قدراتها النووية أو الصاروخية قد دمرت. هذا التناقض الحاد بين الإعلان عن نصر قريب والاعتراف الضمني بالعجز عن إنهاء الحرب، أربك الأسواق المالية التي تبحث عن يقين، وأربك الحلفاء الذين يبحثون عن قيادة، وأربك الرأي العام الأميركي الذي يبحث عن طمأنة. النتيجة كانت مألوفة: خطاب لا يختلف في جوهره عن خطابات نيكسون في فيتنام، أو بوش الابن في العراق، أو أوباما في أفغانستان. كلهم وعدوا بنهايات، وكلهم تركوا النهايات مفتوحة.

خطاب ترامب الأخير أعاد إنتاج سياسة النهايات المفتوحة؛ مزيج من تهديدات وتصريحات مترددة يترك الحروب بلا نهاية واضحة ويعمّق الفوضى الإقليمية والدولية

على المستوى الجيوسياسي، كان تأثير هذا الغموض كارثيًا. في ملف مضيق هرمز، ذلك الممر الحيوي الذي تمر عبره نسبة كبيرة من إمدادات النفط العالمية، فاجأ ترامب الجميع بتوزيع المسؤولية. بدلًا من أن يعلن بوضوح أن الولايات المتحدة ستستخدم قوتها العسكرية لفتح المضيق، حمّل الدول المستوردة للنفط مسؤولية ذلك، داعيا إياها إلى تحمل عبء حماية ممرات الطاقة الخاصة بها. هذا الموقف، الذي يمكن وصفه بأنه "استقالة أميركية" من دور الولايات المتحدة التقليدي كشرطي العالم، ترك الحلفاء الغربيين والخليجيين في حالة ذهول. أوروبا، التي تعتمد بشكل كبير على نفط الخليج، أدركت فجأة أن ظل المظلة الأمنية الأميركية لم يعد كما كان. دول الخليج، الحليف التقليدي لواشنطن، شعرت برسالة ضمنية مفادها "أنتم وحدكم الآن". النتيجة المباشرة هي تراجع الثقة في واشنطن كضامن للأمن الإقليمي، وتصاعد المخاوف من أن المنطقة مقبلة على مرحلة جديدة من عدم الاستقرار، دون أن يكون هناك طرف قادر أو راغب في ضبط إيقاعها.

أما على المستوى الداخلي فكان الفشل أكثر إيلاما بالنسبة إلى ترامب نفسه. فخطابه لم ينجح في طمأنة الأميركيين، ولا في استعادة شعبيته التي هوت إلى أدنى مستوياتها، حيث لا تتجاوز نسبة تأييده 38 في المئة في أحدث استطلاعات الرأي. لكن الأكثر دلالة من الأرقام هو الأداء الإعلامي الباهت للرئيس نفسه. فبعد أن عُرفت عنه خطاباته التي تتقد بالحماسة أمام الحشود وكلماته التي تدغدغ مشاعر المتلقين، بدا هذه المرة كأنه يقرأ نصًا غريبا عنه، واختفت نبرة المواجهة التي كانت تطبع خطاباته، وتحول الرئيس الذي كان يستخدم حضوره الإعلامي كسلاح سري لتعويض نقاط ضعفه السياسية، إلى مجرد رجل عادي يردد كلمات فارغة. هذا التراجع الأدائي ليس تفصيلاً ثانويا، بل هو جوهر الأزمة. لأن ترامب عندما يفقد قدرته على الإبهار، يفقد آخر أسلحته في معركة الشرعية الداخلية. والنتيجة النهائية هي أزمة مزدوجة: أزمة إستراتيجية في الخارج، حيث لا توجد نهاية واضحة للحرب، وأزمة شرعية في الداخل، حيث لا يوجد رئيس قادر على إقناع شعبه بأنه يعرف ما يفعل.

خطاب ترامب ليس استثناءً في تاريخ الرئاسة الأميركية، بل هو استمرار مأساوي لسياسة قائمة على ترك النهايات مفتوحة. من فيتنام إلى إيران، مرورا بأفغانستان والعراق وليبيا وسوريا، يبدو أن واشنطن تعاني من عجز مزمن عن صياغة نهايات واضحة للحروب التي تبدأها. السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: هل هذه السياسة هي إستراتيجية واعية، نوع من "الفوضى الخلاقة" التي تريد أميركا من خلالها إبقاء خصومها في حالة تخبط دائم؟ أم أنها مجرد عجز، عجز عن التخطيط لعواقب الحرب، وعجز عن الاعتراف بالهزيمة، وعجز عن الخروج بشرف من مستنقعات لا نهاية لها؟ ربما الحقيقة كما هي غالبا: مزيج من الاثنين، بعض القصد وبعض العجز، مع جرعة كبيرة من الغطرسة التي تمنع المراجعة الجادة للسياسات. لكن يبقى السؤال الأهم للقارئ، للمواطن الأميركي، وللعالم بأسره: كم ستستمر هذه النهايات المفتوحة؟ وكم ستدفع البشرية ثمنا لسياسة تعتبر الحرب لعبة بلا نهاية، والفوضى وسيلة بلا هدف؟ الأفلام تنتهي، والحروب أيضا كان يجب أن تنتهي، لكن يبدو أن في واشنطن لم يقرأ النص حتى نهايته ولو قارئ واحد.

هذه النهايات المفتوحة تشبه أفلام هوليوود التي تترك المشاهد معلقا، لا يعرف إن كان البطل سينتصر أم سيهزم، فقط شاشة بيضاء وكلمات "يتبع". لكن الفرق أن أفلام هوليوود تنتهي بعد ساعتين، أما حروب أميركا فتمتد لأجيال. وهي تشبه أيضا مفهوم "الفوضى الخلاقة" الذي روج له بعض المنظرين، حيث الهدف ليس بناء نظام جديد مستقر، بل هدم القديم وترك الجميع يتخبطون في الفراغ. المشكلة أن الفوضى الخلاقة تخلق، قبل كل شيء، فوضى، وهي نادرا ما تكون خلاقة لأي كان باستثناء تجار السلاح.

سراب الذهب: فك شفرة هبوط المعدن النفيس وسط نيران الصراع العالمي

ألطاف موتي
كاتب باكستاني

يواجه المشهد المالي العالمي الراهن ظاهرة تتحدى ما يربو على قرن من النظريات الاقتصادية، فتاريخياً، كلما تفاقمت التوترات الجيوسياسية، ولاسيما في ممرات الطاقة المضطربة في الشرق الأوسط، اندفع المستثمرون نحو حيازة الذهب. بيد أنه في أعقاب تصاعد الأعمال العدائية المرتبطة بإيران، دخلت تجارة "الملاذ الآمن" في حالة من التناقض الصارخ، فبعد أن بلغ سعره ذروة تاريخية قياسية تجاوزت 5400 دولار للأوقية، انخرط الذهب في مسار هبوطي حاد، حيث يجهد الآن للبقاء قرب مستوى 4400 دولار. لقد جعل هذا التصحيح الجسيم في فترة وجيزة المكانة التقليدية للمعدن كملاذ آمن موضع شك وتساؤل.

ويعد تعاظم قوة الدولار الأميركي العامل الأبرز الذي يضغط على أسعار الذهب. ففي أوقات عدم اليقين العالمي، يبحث المستثمرون عن الأمان، ورغم عراقة الذهب، يظل الدولار هو عملة الاحتياط الأولى عالمياً. في البيئة الراهنة، تتدفق رؤوس الأموال بسرعة نحو الأصول المقومة بالدولار، مما دفع "مؤشر الدولار" إلى أعلى مستوياته منذ سنوات.

وبما أن الذهب يُسعر دولياً بالعملة الأميركية، فإن ارتفاع قيمة الدولار يجعل المعدن أكثر تكلفة للمشترين الذين يستخدمون عملات أخرى، وهو ما يؤدي بالتبعية إلى تراجع الطلب العالمي. يفضل الكثير من المستثمرين حالياً سيولة الدولار وعوائده على حيازة الذهب المادية، وطالما بقي الدولار هو الملاذ المفضل، سيواجه الذهب طريقا وعرا نحو التعافي.

أثر النزاع في الشرق الأوسط بشكل مباشر على أسواق الطاقة، إذ أدى تعطل الملاحة في مضيق هرمز إلى اضطراب إمدادات النفط، مما تسبب في قفزة هائلة بأسعار الخام. في الظروف العادية، تدعم أسعار النفط المرتفعة الذهب كونه وسيلة للتحوط ضد التضخم، لكن السوق تنظر حالياً إلى هذا التضخم من زاوية مختلفة.

ويسود اعتقاد لدى المستثمرين بأن ارتفاع تكاليف الطاقة سيجبر البنوك المركزية على اتخاذ إجراءات نقدية صارمة. فالتضخم المستمر يقلل من احتمالات خفض أسعار الفائدة. ومع بداية عام 2026، كانت التوقعات تشير إلى اتجاه الفيدرالي الأميركي لخفض الفائدة عدة مرات، إلا أن هذه الآمال تبخرت الآن. تشير بيانات السوق الحالية إلى احتمال كبير لبقاء الفائدة مرتفعة أو حتى زيادتها قبل نهاية العام، وهو ما يشكل رياحاً معاكسة قوية للمعادن الثمينة.

يُعرف الذهب بأنه أصل لا يدر عائداً، أي أنه لا يمنح فوائد أو توزيعات أرباح، وتعتمد قيمته فقط على ارتفاع السعر. عندما تكون أسعار الفائدة مرتفعة، تزداد تكلفة الفرصة البديلة لحيازة الذهب، حيث يفضل المستثمرون السندات الحكومية أو الودائع النقدية ذات العائد المرتفع.

في الوقت الراهن، تشهد عوائد سندات الخزانة الأميركية ارتفاعاً ملحوظاً، وهي أصول تعتبر شديدة الأمان. فإذا كان بمقدور المستثمر تحقيق عائد بنسبة 5 في المئة من سند حكومي، فمن غير المرجح أن يحتفظ بالذهب في ظل تقلباته السعرية الحالية. إن ارتفاع العائد الحقيقي على السندات يجعل الذهب يبدو أقل جاذبية، وهذه الضغوط الاقتصادية الأساسية أثبتت أنها أقوى من المخاوف الناجمة عن الحروب الإقليمية.

هبوط الذهب يعكس مفارقة نادرة؛ فالتوترات الجيوسياسية عادة تدعمه لكن قوة الدولار وارتفاع الفائدة والبحث عن السيولة أطاحت بسردية الملاذ الآمن

ويكمن سبب آخر لهذا التراجع في الحاجة الملحة إلى السيولة النقدية. فقد تسببت الحرب في تقلبات حادة عبر كافة فئات الأصول، ومنها أسواق الأسهم التي تكبدت خسائر فادحة. عندما يواجه كبار المستثمرين المؤسسيين خسائر في محافظ الأسهم، فإنهم يتلقون ما يعرف بـ"نداءات الهامش" (Margin Calls)، وهي مطالبات بتوفير سيولة نقدية إضافية لتغطية مراكزهم.

ولتوفير هذه الأموال بسرعة، يلجأ المستثمرون إلى بيع أصولهم الأكثر سيولة وربحية. وبما أن الذهب حقق مكاسب تقترب من 50 في المئة خلال عام 2025، فقد أصبح الهدف الأول للبيع لجني الأرباح وتغطية الخسائر في قطاعات أخرى. في هذا السيناريو، يُعامل الذهب كمصدر للنقد الجاهز وليس كمخزن للقيمة بعيد المدى، مما يخلق ضغوطاً بيعية تدفع السعر نحو الأسفل.

كان الارتفاع السريع للذهب نحو مستويات 5400 دولار مدفوعاً جزئياً بعمليات شراء مضاربية. دخل العديد من المتداولين إلى السوق في وقت متأخر من موجة الصعود، آملين في مستويات أعلى. وعندما عجز السعر عن اختراق حاجز 5600 دولار، بدأ هؤلاء المضاربون في التخارج من مراكزهم.

وحدد المحللون الفنيون أنماطاً هبوطية في الرسوم البيانية الأخيرة، ومنها نمط "الابتلاع البيعي" الذي ظهر في منتصف مارس – آذار. هذه الإشارات غالباً ما تفعل أوامر البيع التلقائي عبر خوارزميات الكمبيوتر. وبمجرد كسر السعر لمستويات دعم رئيسية مثل 5000 دولار، تحول الزخم بالكامل لصالح البائعين، مما أدخل السوق في مرحلة تصحيح ضرورية لإزالة الإفراط في المضاربات.

لسنوات عدة، كانت البنوك المركزية في الأسواق الناشئة هي المشتري الرئيسي للذهب لتقليل الاعتماد على الدولار. ومع ذلك، عند المستويات القياسية فوق 5000 دولار، بدأت بعض هذه البنوك في إبطاء وتيرة مشترياتها.

وبينما يظل الطلب طويل الأجل قائماً، إلا أن الرغبة الفورية في الذهب الفعلي تراجعت، بل إن بعض الدول قد تدرس بيع أجزاء صغيرة من احتياطياتها لدعم عملاتها المحلية أو لتمويل الإنفاق الدفاعي المتزايد. هذا التراجع في ضغط الشراء المستمر جعل السوق عرضة لموجة الهبوط الحالية.

تتميز الأسواق المالية بأنها تتطلع إلى المستقبل، فتهديدات النزاع مع إيران كانت مطروحة للنقاش منذ أشهر قبل وقوعها فعلياً. وكان جزء كبير من حالة الخوف قد انعكس بالفعل في السعر خلال رحلة صعود الذهب أواخر عام 2025.

وعندما اندلعت الحرب أخيراً، كانت القفزة السعرية الأولية قصيرة الأمد، حيث انتقل المستثمرون من مرحلة "شراء الشائعة" إلى مرحلة "بيع الخبر". بمجرد أن تكرس واقع الحرب، حولت السوق تركيزها إلى التبعات الاقتصادية، مثل ارتفاع أسعار الفائدة وقوة الدولار، مما أدى إلى تراجع قيمة الصدمة الأولية للحرب في أعين تجار السلع.

إن التراجع الحالي في أسعار الذهب هو نتاج تحالف نادر للقوى الاقتصادية، فرغم أن التوترات الجيوسياسية تدعم المعدن عادةً، إلا أن هيمنة الدولار وارتفاع عوائد السندات والحاجة الماسة للسيولة قد طغت على سردية "الملاذ الآمن". تفضل الأسواق حالياً النقد والعائد على الأمان طويل الأمد الذي يوفره الذهب.

يجب على المستثمرين مراقبة مستوى الدعم عند 4300 دولار بدقة. فإذا أرسل الاحتياطي الفيدرالي إشارات حول العودة لخفض الفائدة، قد يجد الذهب أرضية صلبة للاستقرار. ومع ذلك، طالما ظل نزاع إيران يبقي أسعار الطاقة مرتفعة ومخاطر التضخم قائمة، فقد يستمر المعدن الأصفر في كفاحه لاستعادة بريقه. تظل "مفارقة الذهب" لعام 2026 تذكيراً بأن أقوى الأصول لا يمكنها الإفلات من القوانين الأساسية لأسعار الفائدة وقوة العملات.

هيمنة الدولار وسحر السيولة

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

أوروبا والولايات المتحدة وإيران في حسابات البقاء

سمير عادل
كاتب عراقي

العالم يحبس أنفاسه، عالقًا بين فكّي كماشة، والجميع على مركب واحد. وهنا نقصد العالم الرأسمالي بشقّيه: القديم، الذي تحاول الولايات المتحدة الحيلولة دون انهياره وترسيخ زعامتها عليه، والعالم الجديد، الذي تتطلع الصين وروسيا إلى صياغته، وهو عالم متعدد الأقطاب كما تُسمّيه.

للوهلة الأولى، ساد تصور أن غزو روسيا لأوكرانيا سيضع العالم على شفا حرب عالمية ثالثة، إلا أن الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران، التي تفاجأ بتداعياتها الجميع، هي الأخطر على العالم، سواء على الصعيد الأمني والعسكري أو على الصعيد الاقتصادي.

العالم اليوم عالق بين فكّي كماشة؛ الولايات المتحدة تسعى لترسيخ زعامتها على النظام القديم فيما الصين وروسيا تدفعان نحو عالم جديد متعدد الأقطاب

في غزو العراق واحتلاله انضمت ثمانٍ وأربعون دولة إلى الولايات المتحدة، وكان قرار الحرب خارج إطار موافقة مجلس الأمن، كما يحدث اليوم في الحرب على إيران. وكانت كل من بريطانيا وبولندا وإسبانيا وإيطاليا، وهي دول أعضاء في حلف الناتو، إلى جانب أستراليا واليابان، من الدول الفاعلة بالمشاركة في القوات القتالية أو بتقديم الدعم اللوجستي. أما اليوم فتحاول أوروبا النأي بنفسها عن هذه الحرب الوحشية الدائرة في الشرق الأوسط. وليس هذا فحسب، بل إن حلف الناتو نفسه، الذي يشكل الأوروبيون أغلبية أعضائه، يقف متفرجًا على ما تؤول إليه الأوضاع، وأبعد من ذلك تصرح فرنسا وألمانيا على لسان مسؤوليها بشكل متكرر بأن "هذه الحرب ليست حربنا".

تقع أوروبا في مأزق سياسي واقتصادي كبير؛ فهي تحاول أن تسلك طريقًا مغايرًا، وأن تضع علامات فاصلة عند مفترق الطرق مع الولايات المتحدة. فبعد مؤتمرين متتاليين لميونخ الأمني في العام الماضي وهذا العام، رفعت أميركا قضية "الطلاق" عن أوروبا. وسواء على لسان جيه دي فانس، نائب الرئيس الأميركي في العام الماضي، أو ماركو روبيو في هذا العام، فإن الولايات المتحدة ماضية نحو تحقيق شعار "أميركا أولًا".

في الأزمة الأوكرانية التي عمّقت أزمات أوروبا، ولعبت فيها الإدارة الأميركية برئاسة جو بايدن دورًا مفصليًا في تفجّر الحرب المستمرة منذ أربع سنوات، تتنصل اليوم الإدارة الأميركية منها، بل وأكثر من ذلك، لم تعد تعتبر روسيا عدوًا كما ورد في الإستراتيجية الأميركية للبيت الأبيض وأكدت عليها إستراتيجية البنتاغون. وفي المقابل، تحاول أوروبا أن تسلك طريقًا آخر دفاعًا عن مصالحها؛ إذ توجهت إلى الصين لعقد اتفاقات اقتصادية، وامتنعت عن المشاركة في مجلس السلام العالمي في غزة الذي شكله الرئيس الأميركي دونالد ترامب، كما أنها اليوم لا تحرك ساكنًا ولا تنجرّ إلى ما تعتبره خداعًا من إدارة ترامب في ما يتعلق بالدفاع عن مضيق هرمز، على الرغم من أنه مصدر أساسي لها من الغاز القطري والنفط الخليجي بعد فرضها للعقوبات على الطاقة الروسية والامتناع عن التزود بها.

في المقابل، تحاول الإدارة الأميركية فرض الإذعان على أوروبا عبر خنق مصادر الطاقة عنها. وتجد أوروبا –وبخاصة الاتحاد الأوروبي الذي تقوده فرنسا وألمانيا، حيث تمتلك الأولى السلاح النووي فيما تمثل الثانية أقوى اقتصاد في القارة– نفسها في مأزق سياسي كبير. فهي ليست جاهزة للوقوف بحزم في مواجهة الحرب المستعرة في أوكرانيا، أو حتى لوقف تدحرج "كرة الثلج" الروسية، كما أنها غير قادرة على تجاوز الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالعالم، والتي تنعكس بوضوح على القدرة الشرائية لمجتمعاتها، خاصة لدى الطبقة العاملة وعموم الأقسام الاجتماعية الأخرى.

تحاول أوروبا مقاومة الضغوط الأميركية للمشاركة في الحرب عبر حلف الناتو، متذرّعةً بأن الحرب الدائرة اليوم شُنّت خارج إطار القانون الدولي، وأن الناتو حلف دفاعي لا يمكنه خرق هذا القانون، على حدّ زعم إيمانويل ماكرون، الرئيس الفرنسي، وكير ستارمر، رئيس وزراء بريطانيا، مؤكّدين أنهم لن يذهبوا إلى حدّ فتح مضيق هرمز.

غير أن الحلف سبق أن شنّ حملة عسكرية على كوسوفو عام 1999 خارج إطار القانون الدولي، كما قاد تدخلًا عسكريًا عام 2011 لإسقاط نظام القذافي خارج أوروبا. ورغم وجود قرار من مجلس الأمن الدولي آنذاك تحت عنوان "حماية الشعب الليبي"، فقد منح الحلف لنفسه صلاحيات أوسع، وتجاوز حدوده الجغرافية، مقدّمًا نفسه بوصفه مدافعًا عن حقوق الإنسان.

على العموم، لا تستطيع أوروبا تحمّل تداعيات الحرب التي أشعلتها الولايات المتحدة، وهي تدرك أن انتصار واشنطن في هذه الحرب يعني دفع أوروبا لتقديم تنازلات تمس أمنها واقتصادها واستقلالها في أوكرانيا، وربما لصالح روسيا أيضًا. وفي الوقت ذاته، لا تبدو قادرة على الانخراط في حرب إيران، في ظل عدم تصفية حساباتها بعد في الحرب الأوكرانية، التي تركتها الولايات المتحدة إلى مصير مجهول، خاصة أن الرئيس الأميركي يصف حلف الناتو الذي يمثل درع أوروبا أمام روسيا بكونه "نمرا من ورق"، ويقول إنه لن ينسى موقفه بعدم دعمه للحرب على إيران، وإنه يفكر في الانسحاب منه.

إلا أن هذه ليست كل اللوحة؛ أوروبا تفتقر إلى المبادرة بسبب انعدام الآفاق السياسية لديها. فهي لا تستطيع أن تفرح إذا انتصرت إيران في هذه الحرب –وفق المعيار السياسي، أي بقاء النظام في إيران من دون، على الأقل، تغيير سلوكه وفصله عن روسيا والصين– كما لا تفرح إذا انتصرت الولايات المتحدة التي ستخنق أوروبا وتفرض عليها مزيدًا من التراجع فتجعلها هامشية وخارج حسابات الولايات المتحدة، لتغدو حالها كحال بقية الدول التي لا حول لها ولا قوة في ميزان القوى العالمي.

ليس أمام النظام السياسي في إيران –بالمعنى العقائدي والسياسي، والمنهجية التي بُني عليها منذ سبعة وأربعين عامًا– إلا الصمود وعدم تقديم أي تنازلات أمام الولايات المتحدة. وقد علمتنا تجربة الحرب العالمية الثانية أن النظام السياسي الذي قاده هتلر لم يقدم أي تنازلات حتى سقوط برلين وانتحار هتلر والدائرة الضيقة المحيطة به. إنه السيناريو نفسه الذي نشاهده اليوم في إيران. إنّ نظام الجمهورية الإسلامية، وعلى خلاف أدواته من الميليشيات في العراق ولبنان والمنطقة التي تطرح الصراع بوصفه دفاعًا عن الدين والمذهب، أدخل مقولة "الفدائي" في خطابه السياسي بهدف تعبئة الداخل الإيراني، عبر العزف على الوتر القومي واستمالة حتى بعض التيارات السياسية المعارضة، لجرّ جماهير إيران إلى حربه، بعد أن لم يعد الخطاب الديني والمذهبي يؤدي وظيفته التعبوية المطلوبة.

وقد بيّنت التجارب أن العزف على الوتر القومي والوطني هو الأكثر نجاعة، منذ صعود التيارات البرجوازية وترسيخ نظامها الرأسمالي، في تعبئة الجماهير واستخدامها وقودًا للحروب. وبهذا، تتأكد صحة ما ذهبنا إليه سابقًا، من أن النظام السياسي في الجمهورية الإسلامية يمثل سياسيا برنامجَ ورؤية البرجوازية القومية الإيرانية ذات الطموح والتطلعات التوسعية، وأنه يشكّل امتدادًا لنظام الشاه، ولكن بلباس أيديولوجي هو الإسلام، بما يسهّل الاختراق والتسلل إلى المنطقة.

ومن خلال هذه الرؤية يمكن القول إن إيران تسعى إلى توسيع رقعة الحرب في المنطقة؛ بل إن هناك تحليلات سياسية من بعض الأوساط الغربية تشير إلى احتمال أن تقْدم إيران على غزو بري لعدد من دول الخليج، بهدف وضع العالم على شفا حرب لا تُحمد عقباها. لذلك ليست هناك فسحة للتفاؤل من المفاوضات –إذ إلى حد الآن تجري محاولات من أجل الاتفاق على الدخول في المفاوضات بين الجانبين الأميركي والإيراني في باكستان، وبغض النظر عن كل التصريحات التي يدعيها الرئيس الأميركي.

وبالنسبة إلى الولايات المتحدة، تُعد هذه حربًا مصيرية؛ ففي حال عدم قدرتها على تحقيق انتصار سياسي على إيران –أي تغيير سلوكها وإدخالها في الفلك الأميركي– فإن ذلك يعني تراجعًا للولايات المتحدة إلى الخلف وإضافة منافس جديد إلى ساحة التنافس الدولي، إلى جانب الصين وروسيا، وهو أوروبا التي بدأت تعد خسائرها السياسية والاقتصادية، وتلمّ شتات نفسها، وتضمد جراحها، لتنهض من جديد من ركام العالم القديم.

في خضم هذا الصراع والحرب الدائرة التي تشنّها الولايات المتحدة بمعية دولة مارقة، ملطخة بدماء جماهير الفلسطينيين ومتهمة بالإبادة الجماعية والتطهير العرقي ومطلوبة أمام المحكمة الجنائية الدولية، وبغض النظر عن ماهية النظام السياسي الحاكم في إيران الذي يعتبر أكثر الأنظمة وحشية ودموية عرفتها البشرية في العصر الحديث وتختبئ تحت عباءة شعارات الدفاع عن الشعب الفلسطيني ومقاومة الشيطان الأكبر، تدفع جماهير المنطقة، بما فيها إيران، ثمنًا باهظًا من أمنها وسلامتها واستقرارها ومعيشتها. كما تدفع الطبقة العاملة في العالم فاتورة هذه الحرب من قدرتها الشرائية ورفاهها الاقتصادي والاجتماعي. ويعلو ضجيج الأكاذيب والخداع، وتُنشر الأوهام، وترتفع أصوات العزف على مختلف أوتار الخرافات الدينية والطائفية والقومية، لتغذية الحروب والصراعات التي تدرّ الأرباح على حسابات الشركات الرأسمالية، من جيوب العمال والكادحين.

الشعوب وحدها من يدفع الثمن

غزة بين تعثر التفاوض وتحديات ما بعد الحرب

عبدالباري فياض
كاتب وصحافي فلسطيني

يدخل قطاع غزة مرحلة دقيقة من مسار الحرب المستمرة، حيث لم تعد تداعيات المواجهات تُقاس فقط بحجم الخسائر البشرية أو الدمار الواسع الذي طال البنية التحتية، بل باتت تمتد إلى طبيعة الخيارات المطروحة لإدارة ما يُعرف بمرحلة "اليوم التالي". ففي هذه اللحظة المفصلية يتشكل المشهد عند تقاطع مسارين متداخلين؛ مسار ميداني لم تُحسم مآلاته بالكامل، ومسار تفاوضي يتقدم بإيقاع محسوب، تحكمه اعتبارات معقدة تتجاوز حدود القطاع إلى دوائر إقليمية ودولية أوسع.

خلال الفترة الأخيرة شهدت الجهود السياسية زخما ملحوظا، مع تكثيف الاتصالات الهادفة إلى بلورة تفاهمات تتيح وقفا لإطلاق النار، وتفتح الباب أمام ترتيبات إنسانية واقتصادية عاجلة. وتدور هذه التحركات حول مقاربات تدريجية، تبدأ بإجراءات لخفض التصعيد وتبادل الأسرى، وتمتد إلى تهيئة بيئة مناسبة لبدء عملية إعادة الإعمار، التي باتت تمثل أولوية لا تحتمل التأجيل بالنسبة إلى سكان القطاع.

غير أن هذا الحراك، على أهميته، لا ينعكس حتى الآن في تقدم ملموس بالسرعة التي تفرضها الوقائع الميدانية. فالتفاعل مع المبادرات المطروحة يبدو محكوما بحسابات دقيقة، ترتبط بطبيعة التوازنات القائمة وتعقيد الملفات المطروحة، وفي مقدمتها الترتيبات الأمنية المرتبطة بمرحلة ما بعد الحرب، وهو ما يجعل مسار التفاوض أقرب إلى إدارة إيقاع الأزمة منه إلى حسمها.

وفي هذا السياق تعكس طبيعة الردود الصادرة عن قيادة حركة حماس ميلا واضحا إلى إرجاء الحسم في القضايا الأكثر حساسية، وعلى رأسها ملف السلاح، مع اعتماد مقاربة تفاوضية تميل إلى كسب الوقت أكثر من إنتاج اختراقات فعلية. ورغم أن هذا النهج قد يُقرأ في إطار محاولة تحسين شروط التفاوض، إلا أن استمراره دون مؤشرات عملية يضع علامات استفهام حول كلفته الواقعية، خاصة في ظل ارتباط بدء إعادة الإعمار بإحراز تقدم ملموس في هذه الملفات.

هذا التداخل بين المسارين الأمني والإنساني يجعل عملية التعافي في القطاع رهينة لتوازن دقيق يصعب تحقيقه سريعا. فالدول والجهات المانحة تميل إلى العمل ضمن بيئات مستقرة نسبيا، في حين أن استمرار الغموض في الملفات الجوهرية يعرقل إعادة الإعمار ويمنح المانحين مبررات للتأجيل، مما يكرّس هشاشة الواقع المعيشي ويؤجل التعافي المطلوب لسكان القطاع.

غزة أمام لحظة اختبار حقيقية؛ حيث لم يعد عامل الوقت محايدا بل أصبح جزءا من الضغط يفرض مقاربة أكثر حسما لتجاوز إدارة الأزمة

غزة اليوم أمام لحظة اختبار حقيقية

الغموض في الملفات الجوهرية يمنح هذه الأطراف مبررات إضافية لتأجيل الانخراط الفعلي في مشاريع الإعمار، بما يعني عمليا ترحيل الأزمة بدلا من معالجتها.

في المقابل، تنعكس هذه المعادلات على الحياة اليومية لسكان غزة، حيث تتسع الفجوة بين النقاشات السياسية والاحتياجات المعيشية. فاستمرار التعاطي البطيء مع استحقاقات المرحلة لا يؤدي فقط إلى تأخير التعافي، بل يكرّس واقعا معيشيا هشا، تتآكل فيه مقومات الصمود تدريجيا تحت ضغط الوقت.

وعلى المستوى الأوسع لا يمكن فصل مسار المفاوضات عن السياق الإقليمي المحيط، حيث تتقاطع الملفات الفلسطينية مع حسابات أطراف متعددة، لكل منها أولوياته الخاصة. هذا التشابك يضيف طبقة إضافية من التعقيد، ويجعل من الصعب الوصول إلى تسويات سريعة أو حاسمة، في ظل غياب إطار جامع يوازن بين هذه المصالح المختلفة.

داخليًا، تبرز أهمية وجود رؤية أكثر تماسكا لإدارة المرحلة المقبلة، لا تكتفي بالتعامل مع التفاوض كأداة مرحلية، بل تنظر إليه كمدخل لإعادة ترتيب الأولويات بما يضع الاحتياجات الإنسانية في موقع متقدم. فالتحدي لا يقتصر على الوصول إلى اتفاق، بل يمتد إلى كيفية تجنب تحوّل أدوات التفاوض نفسها إلى عامل إضافي في إطالة أمد الأزمة.

تقف غزة اليوم أمام لحظة اختبار حقيقية، حيث لم يعد عامل الوقت محايدا، بل بات جزءا من معادلة الضغط. وبينما يظل التفاوض خيارا لا غنى عنه، فإن جدواه تبقى مرهونة بقدرته على إنتاج نتائج ملموسة، لا الاكتفاء بإدارة المسار. وفي ظل هذا الواقع تبدو الحاجة ملحّة لمقاربة أكثر حسما، توازن بين ضرورات السياسة وكلفة التأجيل، بما يفتح الطريق أمام انتقال تدريجي من إدارة الأزمة إلى الشروع في حلها.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

ذاكرة المكان في لوحات الحريري

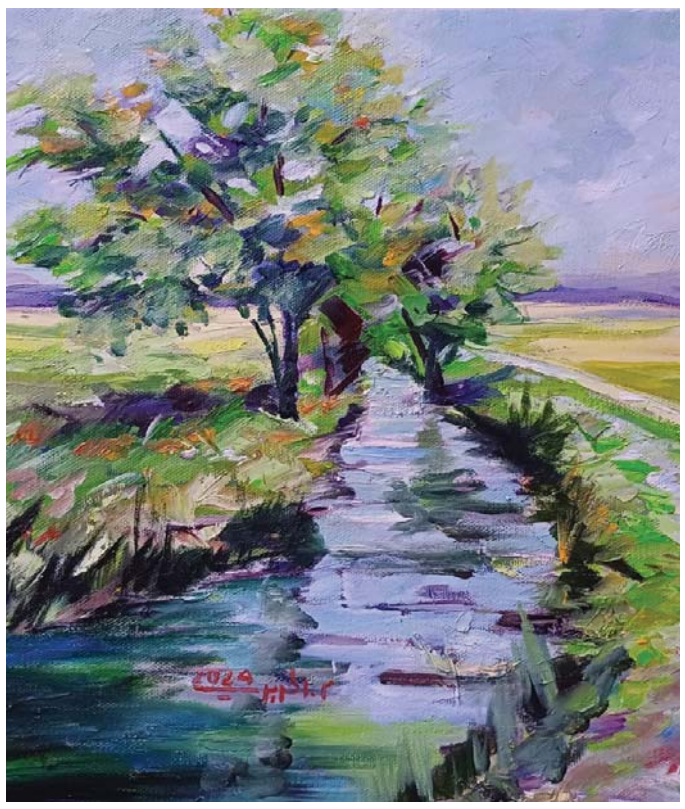

الرسم كفعل تأمل واكتشاف

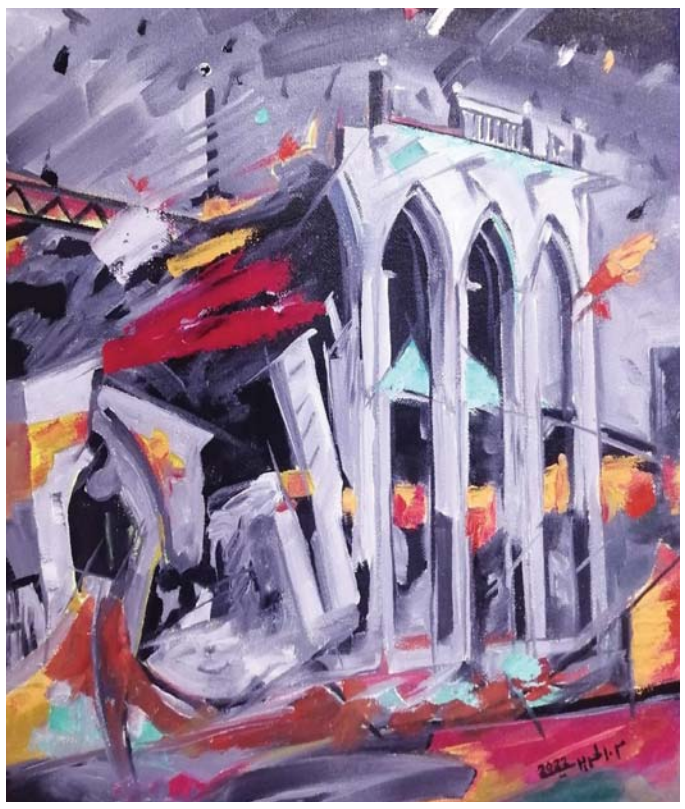

فنان يرسم ما تخفيه الأماكن

الفن التشكيلي والعمارة عنده نسيج واحد

محمد الحريري
يستلهم البيئة الفراتية ويعيد إنتاجها

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

في مسار تتقاطع فيه الذاكرة بالمكان، ويتحوّل فيه الطين إلى لغة، والرسم إلى تأمّل، يبرز اسم الفنان التشكيلي والباحث المعماري محمد الحريري بوصفه تجربة فريدة تنتمي إلى جغرافيا الفرات، وتغيض في الآن ذاته على حدودها، لتلامس أسئلة الإنسان الكبرى حول الهوية والانتماء والمعنى.

تجربة الحريري تختزل سيرة مكان يُعاد اكتشافه، وسيرة إنسان يحاول أن يصوغ علاقته بالعالم من خلال الفن

وُلد محمد الحريري في الخامس من سبتمبر – أيلول عام 1966، في بيئة شعبية كادحة بمدينة الرّقة، تلك المدينة التي ستغدو لاحقا خزّانا بصريا وروحيا لأعماله. لم تكن طفولته منفصلة عن شروط الحياة القاسية التي فرضها الواقع الاجتماعي، بل شكّلت تلك الشروط ذاتها أرضية خصبة لنشوء حساسية مبكرة تجاه التفاصيل، وتجاه الجمال المختبئ في البساطة. ففي الأزقة الترابية، وعلى ضفاف الفرات، وفي تدرجات الضوء على الجدران الطينية، بدأ وعيه التشكيلي يتكوّن بصمت، كأنّه ينصت إلى العالم قبل أن يعبّر عنه.

الفن والبيئة الفراتية

ظهرت ميوله الفنية منذ سن مبكرة، حيث وجد في الرسم ملاذا داخليا يوازي صرامة الواقع. وقد تتلمذ على يد الفنان الأستاذ فواز اليونس في مركز الفنون التشكيلية بالرّقة خلال فترة الثمانينات، وهناك بدأت ملامح مشروعه الفني بالتشكل، لا كحرفة تقنية فحسب، بل كوعي بصري يتغذى من البيئة، ويتفاعل مع التراث.

في عام 1984 تخرّج من مركز الفنون التشكيلية، ليخطو بعدها نحو دراسة أكاديمية أكثر عمقا، فالتحق بكلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، حيث درس العمارة الداخلية (هندسة الديكور)، ونال إجازته عام 1989. في تلك المرحلة لم يكن انتقاله إلى العاصمة مجرد انتقال جغرافي، بل كان انفتاحا على عوالم جديدة، وتيارات فنية متعددة، وتجارب فكرية وسياقات ثقافية مختلفة. ومع ذلك، ظل يحمل معه ذاكرة الرّقة كمرجع أساسي، وكأنّه يعيد اكتشافها من خلال مسافة التأمل.

في تجربة الحريري لا يبدو الفن منفصلا عن العمارة، بل يتداخلان في نسيج واحد. فقد وجد في العمارة الداخلية مجالا يجمع بين الصرامة الهندسية والخيال التشكيلي، بين القاعدة والانفلات، بين النظام والحدس. وهو نفسه يصف هذه العلاقة قائلا إنّ الرسم والتصوير الزيتي ظلّا يرافقانه دائما، بوصفهما مساحة للحرية والانعتاق من قيود الخطوط الهندسية، حيث تتحوّل الصدفة إلى اكتشاف، والفوضى إلى جمال.

تتميّز تجربته الفنية باستلهامها العميق من البيئة الفراتية، حيث تتحوّل العناصر المحلية -كالطين والنخيل والماء والعمارة التقليدية- إلى مفردات تشكيلية تحمل دلالات إنسانية وثقافية. في أعماله لا يظهر المكان كخلفية صامتة، بل ككائن حيّ ينبض بالذاكرة، ويتحوّل إلى شريك في التعبير. إنّه يعيد صياغة العلاقة بين الإنسان ومحيطه، ليس عبر تمثيل واقعي مباشر، بل من خلال بناء بصري يستدعي الإحساس أكثر مما يصف الشكل.

كما تتجلى في أعماله نزعة تأملية واضحة، حيث لا يكتفي بإعادة إنتاج التراث، بل يعيد قراءته، ويستخرج منه إمكانات جديدة. فالموروث لديه ليس شيئا ثابتا، بل مادة حية قابلة للتجدد، تُعاد صياغتها بلغة معاصرة دون أن تفقد جذورها.

التصميم والتراث

إلى جانب ممارسته التشكيلية برز الحريري في مجال العمارة الطينية، حيث شكّلت هذه التجربة امتدادا طبيعيا لاهتمامه بالمكان والهوية. فقد انشغل بدراسة تقنيات البناء التقليدي، وسعى إلى تطوير نماذج معمارية تعتمد على المواد الطبيعية المحلية، في محاولة لإحياء هذا الإرث بأسلوب يتناسب مع العصر. في هذا السياق لم يكن عمله تقنيا فحسب، بل كان يحمل بعدا ثقافيا وبيئيا، يعيد الاعتبار للعمارة بوصفها تعبيرا عن الإنسان وبيئته، لا مجرد وظيفة إنشائية.

كما شارك في ورشات تدريبية في مجال الترميم التراثي، مساهما في نقل المعرفة إلى المجتمع، وتعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على التراث المعماري. وهنا تتجلى شخصيته كفنان -باحث، لا يكتفي بالإنتاج، بل يسعى إلى بناء معرفة مشتركة، وإلى ربط الفن بالحياة اليومية.

الفنان التشكيلي وجد في العمارة الداخلية مجالا يجمع بين الصرامة الهندسية والخيال التشكيلي، بين القاعدة والانفلات

في المجال التعليمي كانت له تجربة غنية وممتدة، حيث عمل مدرسا في معهد الفنون في الرّقة، ودرّس مواد التصميم والزخرفة والتصوير الزيتي، كما عمل في دولة الإمارات العربية المتحدة بين عامي 1994 و1996، ثم في دولة قطر بين عامي 2001 و2005، حيث درّس مادة التربية الفنية. خلال هذه التجارب لم يكن التعليم بالنسبة إليه مجرد نقل معلومات، بل كان مشروعا تربويا يهدف إلى تنمية الحس الجمالي لدى الطلبة، وربط الفن بالبيئة المحلية، وتعزيز الانتماء الثقافي.

وقد انعكست هذه التجربة التعليمية على مسيرته الفنية، إذ أضافت إليها بعدا إنسانيا، وجعلته أكثر وعيا بدور الفن في تشكيل الوعي الجمعي. كما ساهمت في تطوير منهجه، حيث أصبح أكثر انفتاحا على الحوار، وأكثر قدرة على تبسيط الأفكار دون فقدان عمقها.

على صعيد العمل المهني أنجز الحريري العديد من المشاريع في مجال الديكور، سواء الثابتة أو المؤقتة، حيث صمّم ديكورات لاحتفالات رسمية ومهرجانات ثقافية، منها عيد الفلاحين المركزي في الرّقة، والمسرح المؤقت لحفل الفنان صباح فخري ضمن مهرجان الرّقة للثقافة والتراث. كما قام بتصميم وتنفيذ عدد من الدوارات العامة في المدينة، ما يعكس حضوره في الفضاء العام، وقدرته على تحويل الفن إلى جزء من الحياة اليومية.

العمارة لغة فنية

يمتلك الفنان أيضا مهارات تقنية متقدمة، حيث يجيد استخدام برامج التصميم الهندسي مثل أوتوكاد ثنائي وثلاثي الأبعاد، ما يعزّز قدرته على الجمع بين الفن والتقنية. كما يجيد الخط العربي، وله مقالات منشورة في الصحافة، خاصة في جريدة "الشرق" القطرية، تناول فيها قضايا فنية ومعمارية.

رغم انشغالاته المتعددة، لم ينقطع عن الرسم، بل ظلّ يرى العالم بعين الفنان، يلتقط المشاهد، ويخزّنها في ذاكرته البصرية، لتتحول لاحقا إلى لوحات. هذه القدرة على "الرؤية" هي ما يمنح أعماله عمقها، ويجعلها تتجاوز الشكل إلى الإحساس.

في مجمل تجربته، يمكن القول إن محمد الحريري لا ينتمي إلى نمط فني واحد، بل يتحرك بين مجالات متعددة، يجمعها خيط واحد هو البحث عن المعنى. فهو فنان يرى في الطين تاريخا، وفي اللون ذاكرة، وفي العمارة لغة، وفي التعليم رسالة.

إنّ تجربته ليست مجرد سيرة فنان، بل هي سيرة مكان يُعاد اكتشافه، وسيرة إنسان يحاول أن يصوغ علاقته بالعالم من خلال الفن. وفي زمن تتسارع فيه التحولات، تبقى أعماله بمثابة دعوة للتأمل، وللعودة إلى الجذور، لا بوصفها ماضيا يُستعاد، بل كمصدر لإعادة بناء الحاضر.

اللون يحمل ذاكرة الأرض في أعماله

محمد سعيد احجيوج: الكثير من الروايات العربية سجينة للصوت الواحد

سارد وناقد مغربي يقرأ الكتابة بعين السؤال والمعرفة

يعود محمد سعيد احجيوج إلى واجهة النقاش النقدي بعمل جديد يثير أسئلة عميقة حول طبيعة التعدد في الرواية العربية. عبر مفهوم لافت، يقارب الكاتب حدود الاختلاف داخل النص، كاشفا عن تداخل الإبداع بالنقد، ومسلطا الضوء على إشكاليات تمس بنية السرد والوعي الثقافي العربي الراهن.

إلياس الخطابي
كاتب مغربي

بمناسبة صدور كتابه الجديد، البوليفونية الزائفة في الرواية العربية، يواصل الكاتب والناقد محمد سعيد احجيوج اشتغاله على أسئلة السرد العربي، من خلال قراءة نقدية تركز على مفهوم البوليفونية، ليس بوصفها تعددا جماليا للأصوات فقط، بل باعتبارها اختبارا حقيقيا لمدى قدرة الرواية العربية على إنتاج الاختلاف داخل النص. في هذا الحوار مع "العرب" نتحدث معه عن معنى البوليفونية الزائفة، وعن حدود التعدد في الرواية العربية، وعن العلاقة بين الكاتب والناقد، وعن الدوافع التي قادته إلى إنجاز هذا الكتاب.

بدأنا حوارنا معه بسؤال حول اهتمامه بالنقد، خاصة وأنه معروف في الوسط الثقافي بالأساس ككاتب مبدع في مجالات إبداعية متعددة. كيف بدأت علاقته بالنقد؟ وهل كان هذا التوجه امتدادا طبيعيا لتجربته في الكتابة، أم أنه جاء بدافع أسئلة فكرية وجمالية فرضت عليه خوض هذا المجال؟

أجاب "ها أنت تقول: كاتب في مجالات إبداعية متعددة، أوليس النقد أيضا كتابة إبداعية؟ حسنا، لندع هذا الإشكال التصنيفي جانبا. لو أردنا العودة إلى الماضي البعيد فقد سبق أن كتبت مقالات ذات طبيعة نقدية، في مجلات إلكترونية ما بين عامي 2004 و2005 (نعم، قبل عشرين عاما مباشرة بعد انقطاعي عن الدراسة في الجامعة). طبعا كانت محاولات ساذجة، لكنها على أي حال محاولات. وكذلك، في الفترة نفسها، كنت مشغولا بالتدوين (من من القراء يا ترى يتذكر المدونات؟)، ولم تكن مدونتي شخصية، لنشر خواطر ذاتية، بل كانت مساحة نقد اجتماعية، مع طبقة من التفكير السياسي. دعنا الآن من الماضي البعيد، ولنعد إلى الوراء بضع سنوات فقط. الباحث الذي يدقق في منشوراتي على فيسبوك منذ سنة 2019 سيجد أن أغلب مباحث كتابي 'البوليفونية الزائفة في الرواية العربية' تحدثت عنها هناك أكثر من مرة، وإن كانت بصيغة تناسب النشر على فيسبوك وليس العمق المطلوب في الكتب النقدية".

ويضيف "يمكن أيضا أن أتخطى كل هذا وأقتبس لك من الكتاب فقرة تكشف رؤيتي الفنية للرواية: الرواية، كما يجب أن نفهمها وندافع عنها، ليست مجرد موضوع للنقد أو مادة خام تنتظر من يحللها ويفسرها، بل هي، في ذاتها وجوهرها، فعل نقدي بامتياز. إنها ممارسة نقدية شاملة ومتعددة الأبعاد، تتجاوز حدود التصنيفات الضيقة لتصبح فضاء مفتوحًا للمساءلة والتفكيك والاستكشاف. أقصد: إنني بالكتابة الروائية نفسها، بذاتها، أمارس النقد والكتابة النقدية، وهذا لا يعني نقد الأوضاع الاجتماعية أو السياسية وحسب، بل حتى الكتابة النقدية نفسها والرواية بالخصوص".

ويشرح "روايتي 'أحجية إدمون عمران المالح' تحركها ثيمة رئيسية هي نقد الجوائز الأدبية، وأعمال روائية بعينها. كذلك الأمر في روايتي 'ليل طنجة'. والآن، بعد كل هذا، يمكنني أن أقتبس من سؤالك نفسه وأقول إن علاقتي بالنقد هي امتداد طبيعي لتجربتي في الكتابة، وهي أيضا، من قبل ومن بعد، جاءت بدافع أسئلة فكرية وجمالية فرضت عليّ خوض هذا المجال".

أمراض الرواية العربية

صدر للكاتب مؤخرا كتاب "البوليفونية الزائفة في الرواية العربية"، وهو يوضح "أتحدث في الكتاب عن أمراض مختلفة تعرفها الرواية العربية، والثقافة العربية في مجملها، لكن بالفعل تركيزي الأكبر على ما أسميتُه بالبوليفونية الزائفة، لأنها آفة لا تطبع الرواية وحسب، بصفتها نصا إبداعيا خياليا، بل كل مناحي الحياة العربية. لنجلب مثالا صغيرا من عالم التدبير السياسي. يقال مثلا إن الحياة السياسية تعرف تعددا في التمثيلية بدخول المرأة إلى البرلمان. لكن، دخول المرأة إلى البرلمان خاضع لمحاصصة صرفة. إنها محض تعددية شكلية، أي: بوليفونية زائفة. تعدد صوتي زائف".

> وسائط التعبير الاجتماعي منحت الحمقى إمكانية التعليق على كل شيء، ومات النقد لأن الجوائز فرضت معاييرها

ويشير إلى أنه "في تشريح أسباب هذه البوليفونية الزائفة يحفر الكتاب عميقا ويكشف ما يراه خللا جوهريا في الفكر والثقافة العربيين، الرافضين، جملة وتفصيلا، لفعل التعدد، والقائمين أساسا على سلطة الصوت الواحد، الموقف الواحد، القائد الواحد وإلى غير ذلك من الأحادية المطلقة التي لا تقبل أي خلاف أو جدال. لنأتي بمثال بسيط، بما أننا خرجنا قبل أيام فقط من شهر رمضان: هل يمكن لشخص ما، في المغرب، أن يأكل في العلن خلال نهار رمضان؟ المسلم يرى نفسه صاحب الدين الأحق، والمهتدي الوحيد إلى الجنة، هذا حقه الذي لن ينتزعه منه أحد. لكن، لم لا يتقبل أن يُظهر شخص آخر أنه غير معني بفعل الصوم؟ ثمة دول عربية فيها قطاع واسع من المواطنين يدينون بدين غير الإسلام، لكن تجد المسلم يرفض تماما أن يرى جاره المسيحي يفطر خلال نهار رمضان. ويمكن أن تجد هذا المسلم نفسه، في سياق آخر، يتحدث عن التسامح الديني وتقبل الآخر والزواج بالكتابية، أليس هذا تعدد زائف، بوليفونية زائفة؟ كما قلت في مقدمة الكتاب: إن الحديث عن أمراض الرواية، مثل البوليفونية الزائفة، هو، في عمقه، حديث عن أمراض الوعي نفسه، عن بنية ذهنية تاريخية تعيد إنتاج نفسها في كل مجالات التعبير والمعرفة. الرواية هنا ليست سوى مرآة تعكس طبيعة علاقتنا بالحقيقة، وحدود استعدادنا لمواجهتها. إن هذه البوليفونية الزائفة في الرواية هي انعكاس مباشر لزيف أوسع يسود المشهد الثقافي، زيف يدّعي التعددية بينما يمارس الإقصاء، ويتحدث عن الحوار بينما يفرض الرأي الواحد، ويدّعي الحداثة بينما يعيد إنتاج أكثر الأنماط التقليدية جمودا وانغلاقا".

دون شك، مصطلح البوليفونية الزائفة يحمل حكما نقديا واضحا، أردنا معرفة هل يعني ذلك أن كثيرا من الروايات العربية تدعي التعدد بينما تظل خاضعة لصوت واحد؟ فقال احجيوج "أما وقد أطلت في جوابي عن السؤالين السابقين سأكتفي هنا بالقول: نعم، كثير من الروايات العربية تدعي التعدد صراحةً بينما هي تظل خاضعة لصوت واحد، هو صوت اللاوعي الثقافي الخاضع لسلطة الأحادية المطلقة".

سألناه كيف يميز في قراءته بين البوليفونية الحقيقية والبوليفونية الزائفة داخل العمل الروائي؟ فأوضح "نتحدث عن البوليفونية الحقيقية حين يقدم العمل الروائي نفسه من خلال أصوات متعددة تتحاور مع بعض، تتجادل، تتصادم، تتفق حينا وتختلف أحيانا، دون تدخل من الكاتب، وبشكل عضوي يتماشى مع المنطق المفترض للبناء الروائي. وحين نتحدث عن البوليفونية الحقيقية فإننا نتحدث أيضا عن تعدد المستويات اللغوية حيث تحصل كل شخصية على بصمتها الصوتية والأسلوبية التي تميزها عن الشخصيات الأخرى. أما حين تنطق كل شخصيات الرواية باللغة نفسها، بغض النظر عن مستوى هذه اللغة، وحين نجد الكاتب الروائي يسقط مواقفه الذاتية على مجمل شخصيات الرواية، ولا يسمح لأي منها بالنمو بشكل طبيعي ومستقل عنه، فإننا نتحدث آنذاك عن البوليفونية الزائفة".

وتابع "يجب أن أوضح، البوليفونية ليست شرطا للرواية لتحقق هدفها الجمالي. إنما المشكلة هي حينما يدعي الكاتب صراحة أنه يكتب رواية متعددة الأصوات لكنها أبعد ما يكون عن ذلك، أو حين تتطلب الرواية أن تنفتح على أصوات متعددة لكن كاتبها يخنقها لتخرج بصوت واحد. آنذاك نكون أمام بوليفونية زائفة، وهذه هي المشكلة".

يلجأ بعض الكتاب إلى تعدد الرواة أو الأصوات في بعض الروايات العربية، وهو اختيار يراه البعض اختيارا جماليا حقيقيا، في حين يعتبره البعض الآخر مجرد تقنية شكلية لإيهام القارئ بالتجديد؟ أما محمد سعيد احجيوج فيرى أن "هذه هي أم الكوارث في الرواية العربية، الأخذ بالقشور، جهلا في بعض الأحيان وكسلا في أحيان أخرى. حقيقة، يصيبني بالجنون الكاتب الذي يقدم لنا روايته عبر رواة متعددين لكنني لا أرى أي فرق بين هؤلاء الرواة سوى اسم الراوي على رأس كل فصل. واليوم تطبّع القارئ على ذلك وصار يعتبر كل رواية تحمل اسم شخصية في عنوان فصولها على أنها رواية متعددة الرواة، ومتعددة الأصوات، وما هي بمتعددة الأصوات ولا حتى متعددة الرواة، طالما أن أسلوب كاتبها، اللغوي والفكري، لا يختلف ولو بكلمة واحدة بين فصول الرواية".

أردنا معرفة إلى أي حد تأثر احجيوج في كتابه بالتصورات النقدية الحديثة حول الحوارية والبوليفونية، وكيف حاول إعادة قراءتها في سياق الرواية العربية؟ فذكر بأن "البوليفونية، والحوارية، أسس لها الناقد الروسي باختين، وأنا أرى هذا المفهوم جزءا من الحداثة، من جهة أنه يمثل النضج الإنساني في تقبل الآخر والتعايش معه. والرواية العربية، ابنة ثقافتها، بعيدة كل البعد عن تقبل الآخر، محاولة فهمه، أو التحاور معه. ولنا في الوضع المأساوي حاليا أوضح مثال: ثمة حرب مدمرة تزعزع اقتصاد العالم وتطحن الفقراء، لكن التركيز عندنا في جزئية تافهة؛ هذا سني وهذا شيعي، أو هذا عربي وهذا فارسي، عوض أن يكون التركيز على الإنسان، على الضحية الدائمة في كل الحروب. إذا أردنا الزاوية القومية الصرفة فإن العرب لوحدهم غير متكاتفين، إذ ترى بعضهم يهلل لضربات الولايات المتحدة وإسرائيل لإيران، وبعضهم يهلل لضربات إيران لدول الخليج العربية، وإذا أردنا الزاوية الدينية فالأمر لا يختلف، البعض يهلل لأن إيران المسلمة تضرب اليهود، والبعض يهلل لأن اليهود يضربون إيران الشيعية. ما هذا البؤس؟ لا أحتاج أن أتأثر بالنظريات الغربية ولا أن أحاول تطبيقها على السياق العربي. إننا نعيش وسط قطبية أحادية لا تقبل أي اختلاف، وإذا ما أرادت أن تتجمل أمام العالم بالتعدد فإنها تختار طريق البوليفونية الزائفة، أي الأخذ بالقشور. لم أبتكر جديدا، فقط كتبت عمّا أراه أمامي، وما أعيشه. لكن بطبيعة الحال المصطلح يُسهل التواصل ونظرية باختين في الحوارية سهلت لي مقاربة غياب التعدد في الثقافة العربية وتأطير الأزمة".

ويضيف أن "الهدف من الكتاب أن يقول، كما قال ذلك الطفل في حكاية أندرسن الشهيرة: الإمبراطور عار. لكنه مع ذلك لا يهدف إلى مجرد الإثارة الرخيصة، إنه يحاول قدر المستطيع أن يكون موضوعيا ومبنيا على تحليل صرف. لكن، رؤيتي النقدية كما عبّرت عنها في مقدمة الكتاب مبنية على فكرة أن النقد لا يمكن أن يكون موضوعيا وإلا فإنه سيكون كاذبا مخادعا. النقد فعل متحيز، لكنه ليس مجرد تحيز تقوده الرغبة في الاختلاف، بل تحيز تدفعه الحاجة إلى التغيير الإيجابي، بدءا بإثارة النقاش حول ما يعتبره الأغلبية مقدسات لا يمكن الاقتراب منها".

أزمة مزمنة

سألنا احجيوج هل يفكر في مواصلة الاشتغال على قضايا الرواية والسرد، أم أن مشروعه النقدي سيتجه إلى أسئلة فكرية أو أدبية أخرى؟ فكشف أن "الكتاب التالي مباشرة هو كتاب نقدي يحفر في موضوع فكري مختلف، لكن بعده لا شك سأعود إلى قضايا الرواية والسرد عموما".

أما عن الرواية العربية اليوم وهل تعيش أزمة في بناء الشخصيات، فيرى الكاتب المغربي أن "الكاتب العربي منذ طفولته وهو يعرف أنه توجد حقيقة واحدة لا غير. حقيقة مطلقة لا يأتيها الباطل من خلف أو أمام. سواء كانت هذه الحقيقة ذات سلطة دينية أو سياسية/عسكرية. فكيف عساه يتعلم ممارسة الاختلاف وتقبله؟ نعم، هي أزمة في بناء الشخصيات لأن الكاتب لا يعرف أصلا كيف يستمع إلى الصوت المختلف عنه، فبالأحرى أن يصنعه. طبعا هذا تعميم وثمة دوما حالات فردية استثنائية تفلت من هذه الحتمية وإلا ما كان ممكنا أصلا الحديث في هذا الموضوع، لكن هذه الأزمة في غياب التعدد تغطي على كل شيء آخر".

وفي مروره على أبرز الأعمال الروائية التي وجدها أقرب إلى البوليفونية الحقيقية، مقابل أعمال أخرى رآها تقع في البوليفونية الزائفة؟ قال احجيوج "أن يعض الكلب الرجل فهذا ليس خبرا صحفيا، وإنما الخبر هو أن يعض الرجلُ الكلبَ. هذا أول ما يفترض أن يتعلمه الصحفي، كما أن الصحفي غير معني بالإخبار عن القطارات التي تصل في موعدها فذلك هو الأصل والمطلوب منها، إنما هو معني بالإخبار ومحاسبة القطارات التي تصل متأخرة. كذلك الأمر في هذا الكتاب. لا أتذكر رواية بعينها تحقق بشكل سليم تماما مفهوم البوليفونية الحقيقية، ليس لأنها منعدمة، فبالضرورة هناك نماذج متميزة، بل لأن الروايات التي تدعي البوليفونية، وهي أبعد ما يكون عن التعدد، غطت على الأعمال الجيدة. وكما أشرت في الكتاب، مهمة الناقد اليوم، بسبب هيمنة النصوص التافهة والسطحية، ليس أن يبحث عن الأعمال المميزة وأن يعرف بها، لأنه سيفشل في ذلك بسبب عدم تهيؤ القارئ لتقديرها، بل أن يهدم؛ أن يركز حاليا على الهدم والتدمير ليبني قارئا ذا نظرة نقدية، قادرا على التمييز بنفسه، بين الغث والسمين".

وتابع "حين كتبت أول مرة عن البوليفونية الزائفة عاتبني بعض القراء على تعميمي، وطرح آخرون اقتراحات لروايات يرونها تحقق البوليفونية الحقيقية، وإحدى أبرز الروايات التي تكرر اقتراحها هي رواية نجيب محفوظ 'أفراح القبة'، فذهبت لقراءتها.. ومن سيقرأ كتابي سيجد تحليلي لهذه الرواية وكيف أنها مثال واضح على البوليفونية الزائفة. وحتى لا يبدو كلامي تسويقيا محضا للكتاب سأضيف: المشكلة تكمن في ما سميته 'اللغة المقدسة'. لغة نجيب محفوظ مميزة، وليست محايدة بالمرة. ونجيب محفوظ على امتداد فصول روايته، مع ما يفترض منها أنها متعددة الرواة، يكتب بمستوى لغوي واحد لا يسمح بالتمايز الصوتي بين الرواة المفترضين، رجالا ونساء، أميين ومثقفين... لا فرق".

وواصل "ما أريد قوله إن القارئ تطبّع على الرداءة ولم يعد قادرا على التمييز والانتقاء، إلى درجة أنه يطلق أوصافا مثل رواية أجيال، رواية متعددة الرواة بشكل عبثي على أي رواية تقريبا. هل تنقيبي عن روايات البوليفونية الحقيقية، أو روايات الأجيال، سيصلح شيئا؟ لا أعتقد. يتطلب الأمر الهدم، والبناء من الصفر، لعلنا نبني قارئا يحمل بذرة الناقد داخله، ليختار بجدية، ويقيم بدقة، دون أن ينتظر من يرشح له رواية، سواء كان ناقدا أو جائزة أدبية".

الكتابة العربية.. نقاد غائبون وصوت متكرر

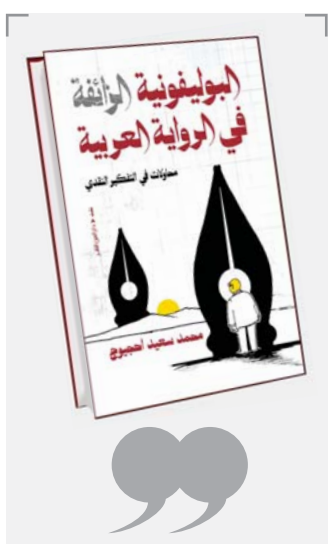

> تركيزي الأكبر على ما أسميته بالبوليفونية الزائفة، لأنها آفة لا تطبع الرواية وحسب، بل كل مناحي الحياة العربية

أما عن العلاقة اليوم بين الإبداع الروائي والنقد، فيذكرنا احجيوج "أنه يقال إن النقد مات، ولا نملك إلا الإقرار بذلك. مات لأنه فقد وسائطه التي كان من خلالها يصل إلى القراء (الصحف والمجلات)، ومات لأن وسائط التعبير الاجتماعي، غير الاجتماعية بالمرة، منحت الحمقى إمكانية التعليق على كل شيء، وإبداء الرأي في كل شيء. مات النقد لأن الجوائز فرضت معاييرها، والجامعة صارت مجرد مزرعة لتفريخ الدجاج. ما العلاقة بين الإبداع والنقد اليوم؟ كل في عالمه الخاص يسبح دون اهتمام بما يقوله الآخر. لا الروائي يهتم بما يقوله الناقد الحقيقي، على ندرته، ولا الناقد عموما يهتم، أو يقدر، على متابعة الجديد الروائي".

قارئ تطبع على الرداءة (لوحة بهرام حجو)

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

البيوتكنولوجيا وملامح صفقة مع الشيطان

قراءة في جدلية التقنية والمعنى في زمن التحولات الهشة

د. محمد الميتمي
سفير اليمن في الصين

هذه الحرب الهجينة التي تدور رحاها هذه الأيام في الشرق الأوسط ليست حربا ككل الحروب، إنما هي حرب تكنولوجية وجيوسياسية بامتياز على مصادر الطاقة والموارد الحيوية وعلى موقع الهيمنة الجيوستراتيجية، فهي حربٌ تصرخ في وجوه الغافلين والعجزة وتقول إن من يمتلكون المعرفة العلمية والتكنولوجيا الرفيعة هم من يفرضون إرادتهم على بقية الأمم.

أمام هذه الحقائق الماثلة اليوم على شاشات التلفاز وميادين الحرب وجدت نفسي غارقا في التأمل والحيرة والقنوط وأنا أقرأ كتاب فرانسيس فوكوياما بعنوان "نهاية الإنسان – عواقب الثورة البيوتكنولوجية" الذي كتبه في مطلع القرن الحادي والعشرين، وهو كتاب جريء ومثير للغاية. ليقفز في وجهي سؤال مزلزل وهو ما الذي ينتظر "الإنسانية" في السنين القادمة؟ قد أتفق مع مخاوف فوكوياما بشأن المخاطر المحدقة بالبشرية من التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل والتي لخصها روبرت وارين في روايته "كل رجال الملك" حين كتب: "نهاية الإنسان هي المعرفة، لكن شيئا واحدا لا يمكنه أن يعرفه: أنه لا يستطيع أن يعرف ما إذا كانت المعرفة ستنقذه أم أنها ستقتله". نعم هذا ما خشي منه فوكوياما في كتابه "نهاية الإنسان"، وما أخشاه أنا أيضا. لكن خشيتي تتجاوز منطق فوكوياما من إلقاء الخطيئة على العلم والمعرفة والتكنولوجيا، إلى تحميل الإنسان ذاته هذه الخطيئة، والقول بنهاية الإنسانية وليس نهاية الإنسان. فوكوياما يستخلص "أن ثمة احتمالا حقيقيا في أن يتسبب هذا الفيض الغريزي المتلاحق من المعارف الوراثية والبيولوجية في أن ينتهي جنس البشر ليظهر منا جنس بشري جديد ينقلب علينا فَنُفنى".

أجل! إن أهم ما يقوم به العلم أنه يهمش دور الصدفة ويختصر الزمن. نحن نحب الصدفة ونخشاها في آن واحد، نحن نرهب السرعة ونهواها في نفس الوقت. ألغيَ اليوم مع تقدم العلم والمعرفة والتكنولوجيا دور الصدفة، فلم يعد هناك حيوان منوي شارد يلتقي صدفة ببويضة تنتظر. بل هناك قدر وراثي تدخّلت أيدي البشر في تصميمه، كما شرح ذلك بسلالة كتاب "إعادة تصميم الحياة" لجون بارنتغون. منذ فجر التاريخ والبشر يتلاعبون بجينومات النباتات والحيوانات بتهجينها، وقد عرفنا الهندسة الوراثية منذ سبعينات القرن العشرين، لكن ما الجديد هنا؟ الجديد يتضمن تحرير الجينوم، قص ولصق كود الحمض النووي DNA في الجينوم باستخدام مقص جزيئي، يطلق عليه "CRISPR" لنصلح الكائن أو نخلق نسخة منه أفضل.

> **هكذا تلوح في الأفق ملامح صفقة مع الشيطان حيث يضعنا التلاعب بالجينات أمام أخطار التحكم بما يتجاوز النيات الحسنة**

لقد أصبح التغير في البيئة أسرع بكثير من أن يلاحقه التطور الوراثي التلقائي. فمنذ أن أمسك الإنسان بأول أداة، وحفر بها أثره في الأرض، نشأت علاقة معقدة بينه وبين التقنية؛ علاقة تتأرجح بين وعد بالخلاص وخطر الانزلاق نحو هاوية أخلاقية. في زمن البيوتكنولوجيا، لم تعد هذه الجدلية مجرد سؤال فكري، بل أضحت مسرحًا حقيقيًا لصراع المصائر والمعاني، وفي قلبها يقف الإنسان، متسائلًا: هل نحن على أعتاب خلاص بيولوجي يحررنا من قيود الطبيعة، أم أمام صفقة شيطانية قد تلتهم جوهرنا الأخلاقي وتعرّي هشاشتنا؟

أطلق كل من الدوس هيكسلي وجورج أرويل نبوءتهما الخارقتين في روايتيهما "عالم جديد شجاع" و"1984" المنشورتين في مطلع القرن العشرين. رواية أرويل تدور حول ما نطلق عليه الآن بتكنولوجيا المعلومات التي تمنح الطغاة هيمنة مطلقة على شعوبهم، وتصبح فيها الحياة الخاصة للأفراد والجماعات رهينة للحاكم المستبد في صورة الأخ الأكبر. أما هيكسلي فيعالج في روايته الثورة التكنولوجية الكبرى التي نشهدها اليوم وتتجلى في أنصع ملامحها من خلال تفريخ البشر خارج الرحم، وتحوير السلوك في سبيل تدجين الفرد والمجتمع لصالح تحالف النخبة المهيمنة، وإبادة الأمم الضعيفة بصواريخ وقنابل فتّاكة تُطلق من طائرات تحلق من علوّات شاهقة وتُدار من مسافات بعيدة ولا يلحظ ضحاياها كيف تُنتزع أرواحهم وتقطع أجسادهم إلى أشلاء.

تكنولوجيا اليوم إن هي إلا مزيجٌ من الأمل والريبة، سيف ذو حدين يتأرجح بين الخلاص والهاوية. في زمن الحرب الهجينة حيث تتداخل السلطة مع سرية المعرفة، تَحْضُر البيوتكنولوجيا كحارس يقف على تخوم الحياة والموت، فاتحة بوابات أسئلة لا تنتهي حول مصائرنا كبشر، متى نمسك بزمام القدر، ومتى نسقط في شَرَك التلاعب بالخلق ومن يقود ذلك؟

الفلاسفة يحذرون من أن هذا المسار قد يقود إلى نوع من "الاغتراب البيولوجي"، حيث يفقد الإنسان إحساسه بأنه كائن طبيعي، ويصبح مُنتجًا تقنيًا. هذا التحول قد يعمّق الفوارق الطبقية: نخبة قادرة على تحسين نفسها بيولوجيًا، مقابل أغلبية "عالة" على أُمِّنا الأرض. في هذا السياق، يتقاطع العلم مع سؤال العدالة: هل ستصبح البيوتكنولوجيا أداة لتحرير الإنسان، أم أداة لإعادة إنتاج الهيمنة بشكل أكثر جذرية؟

يستدعي فوكوياما هواجس الفلاسفة القدامى حول حدود الإنسان ومآلاته، كأننا نقف اليوم على الأطلال الأخيرة للإنسان الكلاسيكي، وقد نُصِبَت لنا فخاخ جديدة تتغذى على شهوة السيطرة على العالم وتقدّم علمي يحابي المليار الذهبي. أيكون العلم صدفةً تمليها الأقدار أم إرادة تصوغها رغبات في تجاوز الطبيعة؟ هنا، تبرز البيوتكنولوجيا بوصفها نسيجًا دقيقًا بين المصادفة العلمية وحلم السيطرة على مصائر الجسد والوراثة، بين ما أتاحته يد القدر وما فرضته نزعة الإنسان نحو الخلق والهيمنة والقوة. فالتكنولوجيا الخارقة والبيوتكنولوجيا تحديدا في جوهرها ليست مجرد أداة علمية، بل أداة قوة. وككل أدوات القوة، فإن استخدامها لا يُحدد فقط بقدرتها، بل بمن يمتلكها، وهنا تكمن المفارقة.

القوة، كما يدركها الفلاسفة وبعض الساسة، سلاح ذو حدين. في يد البيوتكنولوجيا، تتحوّل القوة إلى قدرة على خلق الحياة وتعديلها، بل وربما تسليعها. هنا يطل شبح الانزلاق الأخلاقي: من يملك حق تحديد المسموح والممنوع؟ كيف نرسم حدود التدخل في الجينات دون الانجراف نحو استبداد بيولوجي أو استغلال تجاري يسلب العدالة وجودها وأهميتها ومعناها؟ إن السلطة التي تمنحها التقنية تحمل في طياتها خطر أن تصبح الحياة نفسها موضوعًا للتحكم، وتكشف عن هشاشة عميقة في منظومة القيم الإنسانية.

لم يعد الحديث عن الهندسة الوراثية مقتصرًا على المختبرات، بل دخل في الحسابات الجيوسياسية والأمن العالمي. نحن نعلم أنه يمكن لتقنيات مثل الحمض النووي الاصطناعي أن تُستخدم لتطوير أدوية منقذة للحياة، ولكن في نفس الوقت في السيناريوهات الأكثر قتامة يمكن لها تطوير أسلحة بيولوجية دقيقة تستهدف مجموعات بشرية محددة.

هكذا تلوح في الأفق ملامح صفقة مع الشيطان، حيث يكون ثمن السيطرة المطلقة هو احتمال فقدان السيطرة على المعنى ذاته. يضعنا التلاعب بالجينات أمام أخطار التحكم بما يتجاوز النيات الحسنة: من تعزيز الفوارق الاجتماعية إلى ابتكار كائنات هجينة تتحدى معيارية الوجود الإنساني. هنا، ينبثق سؤال: من يملك الحق في تقرير مصائر الشعوب والأجيال القادمة، ومن يضع حدود اللعبة في زمن تتهاوى فيه الخطوط الحمراء أمام سطوة التقنية؟ إن "صفقة الشيطان" هنا ليست خرافة، بل استعارة عن هذا التبادل: نحصل على قدرة لا حدود لها، مقابل خطر فقدان السيطرة عليها.

في أقاليم الحروب والفقر وأزمات الصحة والأوبئة العامة، كما في اليمن، تتجلى المفارقة والتصدع الأخلاقي بأقصى درجاتهما. فبينما تنفتح نوافذ البيوتكنولوجيا للأغنياء والصفوة، تظل الغالبية من السكان في السياقات الهشة أسيرة أوبئتها وأمراضها المزمنة، محرومة من ثمار الوعود التقنيّة. هنا تصبح العدالة سؤالًا مصيريًا: هل ستزيد التقنية فجوة التفاوت، وتعمق هشاشة المهمشين، أم يمكن إعادة توجيهها لخدمة المصلحة العامة وإعادة الاعتبار للكرامة الإنسانية في مواجهة الضعف؟ في ظل هذه السياقات الهشة، كما في اليمن ودول عربية أخرى، فإن قسوة التقنية تتضاعف، إذ تفرض البيوتكنولوجيا معاييرها بعيدًا عن سؤال العدالة الإنسانية. في مجتمعات كهذه، يتحول وعد الخلاص البيولوجي إلى رفاهية لا تطال إلا النخبة، بينما تترسخ الفجوات وتتعزز الهشاشة. هنا، يصبح النقاش الأخلاقي أكثر إلحاحًا: كيف يمكن أن نضمن توزيعًا عادلًا لمنافع التقنية، دون أن نعيد إنتاج الهيمنة والتهميش تحت عباءة "التقدم"؟ أما إذا نظرنا إلى السياقات الهشة على المدى البعيد، فإن البيوتكنولوجيا قد تُعيد تشكيل موازين القوة على نحو خاسر لا يصدق. تخيّل عالمًا تصبح فيه القدرة على التحكم البيولوجي جزءًا من أدوات النفوذ الدولي، وهي تتجلى اليوم بقدر أكبر من الفجيعة والفجاجة والوضوح. في هذه الحالة، اليمن وأمثالها من الدول الهشة لن تكون فقط متأخرة اقتصاديًا، بل بيولوجيًا أيضًا، وهنا يتحول التخلف من فجوة تنموية إلى فجوة وجودية. هنا تقف مجتمعاتنا العربية أمام واحدة من أكثر اللحظات مفصلية في تاريخها، وهي إما أن تبقى على الهامش وتترقب مصير فنائها أو تتملك القدرة على الإسهام مع الأمم المتقدمة في إعادة كتابة الشيفرة التي كتبتها الطبيعة عبر بلايين السنين. لمغادرة هذا المأزق الوجودي يتعين علينا أولا نحن في اليمن أن نغادر مستنقع الحرب نحو باحات السلام، نحطم أصفاد الجهل ونكتسي رداء العلم، نتحرر من سجون التبعية وننهج طريق التنمية المستقلة.

تغيير حروف الأبجدية الجينية للكائنات الحية

من يحاسب الذكاء الاصطناعي؟

عبده حقي
باحث مغربي

طفت في الآونة الأخيرة على السطح الإعلامي قضايا مقلقة أعادت إحياء ذلك السؤال الأخلاقي العميق: من يتحمّل مسؤولية الذكاء الاصطناعي عندما يستغلّ هشاشة الإنسان أو يعمّق تصدعاتها؟

في هذا السياق برزت المحامية الأميركية فارشا بانسال كصوت قانوني جريء وشجاع كسر صمت الشركات المريب، وطالب بإخضاع عمالقة التكنولوجيا لفصل جديد من المساءلة، وذلك عقب تكرار حوادث انتحار العديد من الأطفال يُرجّح ارتباطها بتفاعلات مستمرة مع أنظمة الدردشة الذكية.

إنّ هذه القضية، التي تتجاوزُ حدودَ المحاكم إلى فضاء الفلسفة والأخلاق، تضعنا أمام مشهدٍ جديد من "العدالة الرقمية"، حيث لم يعد المُتهمُ إنسانًا بعينه، بل منظومة خوارزمية تتغذّى على البيانات، وتُنتجُ خطابًا قد يكون في لحظة ما قاتلًا، أو على الأقلّ محفزًا على السقوط في هشاشة قصوى وقاسية.

تقول التقارير الإعلامية، التي نشرتها صحفٌ أميركيةٌ كبرى، إنّ بعضَ الأطفال والمراهقين الذين أقدموا على الانتحار كانوا قد تفاعلوا بشكلٍ مكثف مع روبوتات دردشة تعتمد على الذكاء الاصطناعي، حيث وجدت هذه التفاعلات طريقها إلى مستويات نفسية حساسة، دون وجود ضوابط كافية تمنعُ الانزلاقَ نحو خطاب سوداويٍّ أو مُشجِّع على إيذاء الذات. وهُنا تطرح المحاميةُ فارشا بانسال سؤالًا ملحا بل وحارقًا: هل يمكن تحميل الشركات مسؤولية ما تقوله خوارزمياتها خلال أجوبة الدردشات بينها وبين الإنسان؟

إنّ هذا السؤال ليس بسيطًا، لأنه يُعيد تعريفَ مفهوم "الفاعل" في القانون بشكل عام. ففي الفلسفة القانونية الكلاسيكية، الفاعلُ هو شخصٌ ذو نيةٍ وإرادة. لكن في زمن الذكاء الاصطناعي، نحن أمام "فاعلٍ بلا قصدية"، أو بالأحرى "نيةٍ موزّعة" بين المبرمجين، والبيانات، وخوارزميات التعلم الآلي. فهل يمكن مساءلة شركة عن جملة قالها روبوتٌ لم يُبرمَجْ صراحةً على قولها؟

تحاول المحامية بانسال أن تبنيَ حجّتها على فكرة "الإهمال البنيوي"، أي أنّ الشركات التي تُطوّرُ هذه الأنظمة تعلمُ مسبقًا أنّها قد تُنتجُ مخرجاتٍ خطيرة، ومع ذلك لا تُقيمُ الحواجزَ الكافية لحماية المستخدمين، خصوصًا الأطفال منهم. وهذا الطرح يجدُ صداه في تقاريرَ صادرةٍ عن منظماتٍ مثل هيومان رايتس ووتش التي دعت إلى ضرورة وضع قوانين تنظيمية صارمة لحماية الفئات الهشة من مخاطر الذكاء الاصطناعي.

إنّ القضية، في جوهرها، ليست ضد شركةٍ بعينها مثل "أوبن آي" أو غيرها، بل ضد نموذجٍ اقتصاديٍ قائم على التسريع والابتكار دون التوقف الرصين عند العواقب الوخيمة. فالشركاتُ تتسابقُ لإطلاق منتجاتٍ أكثر ذكاءً، وأكثر تفاعليةً، لكنها في الوقت ذاته تُؤجّل النقاش الأخلاقي إلى ما بعد الكارثة، كما لو أنّ الضحايا قطع في "محرك التطوير".

> **هل نحن مستعدّون لتحمّل مسؤولية انفلاتات الذكاء الذي نصنعه؟ وهل يمكن للقانون أن يلاحقَ سرعة تطور الخوارزميات؟**

وإذا عدنا إلى كتاب "أسلحة التدمير الرياضية" لعالمة البيانات كاثي أونيل، نجدُ تحذيرًا مبكرًا من خطورة الخوارزميات غير الخاضعة للمساءلة، حيث يمكن لهذه الأنظمة أن تُعيد إنتاج الظلم بطرقٍ خفية، بل وأن تُفاقمه. وفي حالة روبوتات الدردشة، يصبح الظلمُ أكثرَ تعقيدًا، لأنه يتسلّلُ عبر اللغة، عبر الحوار، عبر ما يبدو كأنه تعاطفٌ وانسجام رقميٌّ، لكنه قد يتحوّلُ في لحظةٍ ما إلى مرآةٍ تعكسُ اليأس بدلَ أن تخففَ من وطأته.

إنّ ما تقوم به المحامية الأميركية فارشا بانسال يُشبهُ إلى حدٍّ بعيد محاولةَ إقحام "الروح" إلى القانون الرقمي، أي الاعتراف بأنّ الأثرَ النفسيّ للكلمات التي تُنتجها الآلة لا يقلّ خطورةً عن الأفعال المادية. وهذا يتقاطعُ مع دراساتٍ في علم النفس الرقمي تُشيرُ إلى أنّ المستخدمين، خصوصًا الأطفال منهم، قد يُسقطون مشاعرهم على هذه الأنظمة، ويتعاملون معها ككياناتٍ واعية، قادرةٍ على الفهم والتعاطف.

لكن، في المقابل، تُدافع الشركاتُ عن نفسها بالقول إنّ هذه الأنظمة ليست سوى أدوات، وأنّ المسؤولية تقع في النهاية على المستخدمين أو أوليائهم. غير أنّ هذا الدفاع يبدو هشًا أمام تعقيد العلاقة بين الإنسان والآلة، حيث لم يعد بالإمكان الفصلُ بسهولة بين "الأداة" و"التأثير" أو "التأثر". فالخوارزميةُ، وإن كانت بلا وعي، إلا أنّها تمتلك قدرةً هائلةً على تشكيل الوعي.

هنا تبرز الحاجةُ إلى إطارٍ قانونيٍّ جديد، يُعيد تعريف المسؤوليةَ في عصر الذكاء الاصطناعي. إطارٌ لا يكتفي بمحاسبة الأفراد، بل يمتدّ إلى محاسبة الأنظمة، والجهات التي تُطوّرها، والبيئات التي تُشغّلها.

إنّ هذه المعركة القانونية، التي قد تبدو في ظاهرها تقنيةً، هي في عمقها معركةٌ إنسانيةٌ بامتياز. إنها معركةٌ من أجل حماية الهشاشة البشرية في مواجهة آلة لا تعرفُ الهشاشة. ومن أجل تذكير العالم بأنّ التقدّم التكنولوجي، مهما بلغ من الذكاء، يظلّ ناقصًا وهشا بدوره إن لم يُرافقه وعيٌ أخلاقيٌّ يُوازيه.

أخيرا قد لا يكون السؤالُ هو: من يحاسب الذكاء الاصطناعي؟ بل: هل نحن مستعدّون لتحمّل مسؤولية انفلاتات الذكاء الذي نصنعه؟ وهل يمكن للقانون أن يلاحقَ سرعة تطور الخوارزميات، أم سيظل يركضُ خلفها، بينما الأرواحُ تسقطُ في الحضيض الرقمي؟

محاسبة الأفراد لا تكفي، لا بد من محاسبة الأنظمة الذكية

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

هل يفتح قرار استقالة غابرييل غرافينا الباب أمام رحيل جينارو غاتوزو

إيطاليا تخطط لإصلاح شامل يبدأ بقيادة الاتحاد الإيطالي

مسؤولية جسيمة

استقال غابرييل غرافينا رئيس الاتحاد الإيطالي لكرة القدم بعد فشل المنتخب الوطني الأول في التأهل إلى كأس العالم للمرة الثالثة على التوالي. وقال الاتحاد الإيطالي في بيان إنه سيعقد اجتماع جمعية عمومية استثنائيا يوم 22 يونيو لانتخاب رئيس جديد، وإن غرافينا عرض المثول أمام لجنة برلمانية في الثامن من أبريل لتقديم تقرير عن حالة كرة القدم الإيطالية.

روما - استقال غابرييل غرافينا، رئيس الاتحاد الإيطالي لكرة القدم، من منصبه، وسط ضغوط كبيرة، وذلك بعد يومين من فشل منتخب البلاد في التأهل لبطولة كأس العالم، للمرة الثالثة على التوالي. ويرجح أن يؤدي قرار غرافينا إلى رحيل جينارو غاتوزو، المدير الفني للمنتخب. ودعا أندريا أبودي وزير الرياضة الإيطالي إلى إصلاح شامل يجب أن يبدأ بقيادة الاتحاد الإيطالي لكرة القدم، بعد أن أشرف غرافينا على حملتين مخيبتين للآمال بالتصفيات المؤهلة لكأس العالم.

وقال أبودي "من الواضح للجميع أن كرة القدم الإيطالية بحاجة إلى إعادة هيكلة، وأن هذه العملية يجب أن تبدأ بإجراء تغييرات جذرية في قيادة الاتحاد الإيطالي لكرة القدم. إن تحميل اللوم على الآخرين وحده لا يكفي".

انتهاء الفرصة

وانتهت فرصة المنتخب الإيطالي في التأهل للبطولة التي ستقام في أميركا الشمالية بعد الخسارة أمام منتخب البوسنة والهرسك بركلات الترجيح في الملحق الأوروبي الثلاثاء الماضي. وتولى غرافينا رئاسة الاتحاد الإيطالي في عام 2018 بدلا من كارلو تافيكيو، الذي تنحى بعد فشل إيطاليا في الوصول إلى نهائيات كأس العالم في نفس العام.

وأضافت الخسارة أمام منتخب البوسنة والهرسك المزيد من البؤس للمنتخب الإيطالي، بطل العالم أربع مرات، بعدما خرج أمام السويد ومقدونيا الشمالية على الترتيب في الملحق المؤهل لآخر نسختين من المونديال. وبدأت معاناة المنتخب الإيطالي في كأس العالم لعام 2010 و2014 بعدما فشل في التأهل للمونديال من مجموعته في المرتين.

وكانت آخر مرة لعب فيها المنتخب الإيطالي في الأدوار الإقصائية بكأس العالم هي المباراة النهائية لمونديال 2006 عندما فاز بركلات الترجيح على فرنسا. وأشرف غرافينا على تتويج المنتخب الإيطالي ببطولة أمم أوروبا في 2021. وتمت الدعوة إلى إجراء انتخابات في 22 يونيو لاختيار رئيس جديد للاتحاد الإيطالي لكرة القدم.

وكان غاتوزو تولى تدريب المنتخب الإيطالي في يونيو الماضي ليحل محل لوتشيانو سباليتي، الذي أقيل من منصبه، وكانت آمال إيطاليا في التأهل للمونديال تضاءلت بالفعل بعد الخسارة أمام النرويج في المباراة الافتتاحية بالتصفيات. وبعدها حقق المنتخب الإيطالي ستة انتصارات متتالية قبل أن يخسر مجددا أمام النرويج في نوفمبر لينهي التصفيات في المركز الثاني بمجموعته، ليخوض منافسات الملحق.

ومن المدربين الذين تم ترشيحهم لخلافة غاتوزو يوجد روبرتو مانشيني وسيموني إنزاغي وأنوطنيو كونتي وماسيمليانو أليغري. وقاد مانشيني تدريب المنتخب الإيطالي للفوز ببطولة أمم أوروبا في 2021 ثم فشل بعدها في قيادة الفريق للتأهل لكأس العالم التي أقيمت في العام التالي، قبل أن يرحل لتدريب المنتخب السعودي.

وقاد إنزاغي فريق إنتر ميلان للفوز بلقب الدوري الإيطالي في 2024 وحاليا يدرب فريق الهلال السعودي. وتولى كونتي تدريب المنتخب الإيطالي في بطولة أمم أوروبا 2016 وحاليا يدرب فريق نابولي. وحاليا يتولى أليغري تدريب فريق ميلان. ويشغل غرافينا أيضا منصب النائب الأول لرئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، ألكسندر تشيفرين.

وتنص لوائح الاتحاد الأوروبي لكرة القدم على أن يكون أعضاء اللجنة التنفيذية مسؤولين كبارا في اتحاداتهم الوطنية، لكن غرافينا قد يستمر في منصبه داخل الاتحاد الأوروبي لكرة القدم بشكل مؤقت طالما لم تطالب القيادة الجديدة للاتحاد الإيطالي لكرة القدم بإبعاده.

> من المدربين الذين تم ترشيحهم لخلافة غاتوزو يوجد روبرتو مانشيني وسيموني إنزاغي وأنوطنيو كونتي وماسيمليانو أليغري

وأعيد انتخاب غرافينا العام الماضي من قبل الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، لذلك لديه ثلاثة أعوام إضافية في منصبه الحالي. وقال تشيفرين في تصريحات نشرتها صحيفة "لا غازيتا ديلو سبورت"، الخميس، بعد حضوره مباراة الملحق في البوسنة والهرسك "غابرييل هو نائبي الأول، وهو مهم جدا بالنسبة إلي".

وإلى جانب إعادة بناء المنتخب الإيطالي، فإن أي شخص سيحل محل غرافينا سيكلف بمهمة تجهيز ملاعب إيطاليا المتهالكة لاستضافة بطولة أمم أوروبا 2032. ومن المقرر أن تستضيف إيطاليا بطولة أمم أوروبا 2032 بالاشتراك مع تركيا. وقال تشيفرين "آمل أن تكون البنية التحتية جاهزة، وإلا فلن تقام البطولة في إيطاليا".

أمل أخير

غموض موقف إيران يفتح بابًا ضيقًا للمنتخبات التي فشلت في التأهل. ولا يزال منتخب إيطاليا يتمسك بأمل ضئيل للغاية للمشاركة في كأس العالم 2026، المقررة إقامتها في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، رغم الخروج المخيب للآمال من نهائي الملحق الأوروبي على يد البوسنة والهرسك.

فبعد الخسارة بنتيجة 1 – 4 بركلات الترجيح في نهائي الملحق يغيب الآتزوري عن المحفل العالمي للمرة الثالثة على التوالي، لكن هل هناك فرصة لتغيير هذا المصير؟

فرصة المنتخب الإيطالي الوحيدة للظهور في البطولة، التي ستقام الصيف المقبل، تتمثل في انسحاب المنتخب الإيراني من المنافسات، إذ يحيط الغموض بمشاركته بسبب التوترات المستمرة مع الولايات المتحدة، إحدى الدول المستضيفة للبطولة. وحسب ما ذكرته شبكة فرنسية بدأ بعض المشجعين الإيطاليين يحلمون بإمكانية التأهل الإداري في حال إعلان إيران انسحابها من البطولة، إلا أن الأمر يبدو شبه مستحيل.

ويرى البعض أنه في حال عدم مشاركة إيران في مونديال 2026، قد يتم استدعاء إيطاليا لتعويضها والانضمام إلى المجموعة السابعة التي تضم بلجيكا ونيوزيلندا ومصر، على اعتبار أن الآتزوري هو المنتخب الأعلى تصنيفًا بين المنتخبات التي لم تتأهل.

لكن حتى الآن، لا يزال مركز إيران في مجموعته كما هو، فقد تأهل المنتخب الإيراني على أرض الملعب عبر تصفيات الاتحاد الآسيوي، ولا يزال يطمح للمشاركة في البطولة. كما أن الفيفا ورئيسه جياني إنفانتينو لا يعتزمان حاليًا استبعاد إيران من المنافسات.

وأكد الفيفا دعمه لمشاركة إيران، حيث تشير المباحثات الأخيرة بين الوفد الإيراني وإنفانتينو إلى أن الخطة لا تزال قائمة لمشاركة المنتخب الإيراني في البطولة، بما في ذلك خوض مبارياته في الولايات المتحدة.

وصرح إنفانتينو على هامش حضوره مباراة ودية بين إيران وكوستاريكا في تركيا الثلاثاء بأن المنتخب الآسيوي سيشارك في البطولة ولا توجد خطة بديلة، كما أن فكرة نقل مباريات إيران إلى المكسيك ليست مطروحة في الوقت الحالي. وبالتالي لا توجد أي فرصة حاليًا لإعادة إدراج إيطاليا. ومن المقرر أن يبدأ المنتخب الإيراني مشواره في البطولة يوم 16 يونيو بمواجهة نيوزيلندا، قبل أن يلتقي بلجيكا في كاليفورنيا، ثم يواجه مصر على ملعب "لومن فيلد" في سياتل.

تصنيف الفيفا.. المغرب يحافظ على موقعه بين الكبار وتونس تتقدم

زيورخ - حافظ المنتخب المغربي على مكانه بين العشرة الأوائل في التصنيف الشهري الصادر عن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، وذلك باحتلاله المركز الثامن. وأصدر فيفا تصنيفه الشهري الأربعاء والذي شهد حراكا على مستوى مراكز عديدة لاسيما بين أول عشرة منتخبات، حيث تقدم المنتخب الفرنسي إلى صدارة التصنيف، على حساب المنتخب الإسباني الذي تراجع إلى المركز الثاني بفارق نقطة وحيدة بينهما.

وتراجع بطل العالم منتخب الأرجنتين أيضا إلى المركز الثالث، إذ يتخلف بفارق نقطتين في حسابات التصنيف عن منتخب إسبانيا. وفي المركز الرابع حافظ المنتخب الإنجليزي على ترتيبه السابق، بينما تقدم منتخب البرتغال إلى المركز الخامس على حساب المنتخب البرازيلي الذي تراجع ليصبح سادسا.

كما بقي منتخب هولندا في المركز السابع، والمغرب الثامن، واستمر أيضا منتخبا بلجيكا وألمانيا في المركزين التاسع والعاشر على الترتيب. وعربيا حافظ منتخب المغرب على موقعه في الصدارة، بفضل نتائجه في السنوات الأخيرة، يليه منتخب الجزائر صاحب المركز الثامن والعشرين عالميا، ثم مصر في المركز التاسع والعشرين، ويأتي منتخب تونس في المركز الرابع عربيا والـ44 عالميا، بتقدم 3 مراكز عن آخر تصنيف له.

وأضحى منتخب نسور قرطاج في المرتبة السابعة أفريقيا خلف كل من المغرب (الأول أفريقيا والثامن عالميا) والسنغال (الثاني أفريقيا والـ14 عالميا) ونيجيريا (الثالث أفريقيا والـ26 عالميا) والجزائر (الرابع أفريقيا والـ28 عالميا) ومصر (الخامس أفريقيا والـ29 عالميا) وكوت ديفوار (السادس أفريقيا والـ34 عالميا)، متخطيا المنتخب الكاميروني الذي أصبح في المركز السابع أفريقيا والـ45 عالميا. وكان المنتخب التونسي قد فاز وديا خلال النافذة الدولية المنقضية على هايتي 1 – 0 قبل التعادل مع كندا 0 – 0.

واحتل المنتخب الفرنسي صدارة الترتيب الدولي، متقدما تواليا على إسبانيا التي تراجعت إلى المركز الثاني والأرجنتين وإنجلترا والبرتغال والبرازيل وهولندا والمغرب وبلجيكيا وألمانيا.

> المنتخب المغربي حافظ على مكانه بين العشرة الأوائل في التصنيف الشهري الصادر عن فيفا، وذلك باحتلاله المركز الثامن

وأنهى المنتخب التونسي معسكره التدريبي في مدينة تورونتو، بالتعادل السلبي مع كندا وسط حضور جماهيري تونسي لافت، علما بأنه سبق وفاز على هايتي بهدف نظيف. وصرح لموشي للصحفيين بعد المباراة "في بعض الأوقات اعتقدنا بأننا نلعب على ملعبنا. رأيت اللاعبين يقدمون كل ما لديهم لكننا لا نزال بعيدين عما يتوجب علينا القيام به. تواجد التونسيين في كل أنحاء العالم هذا أمر ممتع. هناك شيء يجمعنا وهو الشغف". وأضاف لموشي "الجميع يريد لهذا المنتخب أن يتألق. عندما نشاهد الأعلام والهتاف والتشجيع وقدوم الأطفال لرؤية اللاعبين وهم سعداء، فهذا ما أريد رؤيته وهو ما يجعلني شديد التركيز على الهدف التالي. الهدف التالي لا يزال بعيدا لكننا على الطريق الصحيح".

وارتقى منتخب قطر مركزا واحدا ليصبح رقم 55 عالميا والخامس عربيا. وبحسب موقع الاتحاد الدولي لكرة القدم، فإن أكبر تراجع في الترتيب كان لمنتخب ماليزيا الذي تراجع 17 مركزا ليصبح 138 عالميا.

أما أكبر قفزة فكانت لمنتخب فيتنام الذي ارتقى 9 مراكز ليصبح الـ99 عالميا. وتراجع منتخب السنغال إلى المركز الثاني أفريقيا وترك الصدارة للمغرب، إذ يحتل المنتخب السنغالي المركز الـ14 عالميا، في حين جاء المنتخب النيجيري في المركز الثالث، والجزائري الرابع على مستوى القارة والمصري الخامس.

روح جديدة

الأنظار شاخصة إلى قمة اللقب ومعركة البقاء بالدوري القطري

الدوحة - تتجه الأنظار إلى مواجهات الجولة العشرين من الدوري القطري لكرة القدم (دوري نجوم بنك الدوحة) والتي تقام الجمعة والسبت، لما تحمله في طياتها من صراعات حاسمة على صدارة الترتيب، والمراكز المتقدمة، إلى جانب معركة الهروب من الهبوط، في مرحلة مفصلية من عمر المسابقة مع اقترابها من الأمتار الأخيرة.

تتصدر قمة الريان والسد المشهد، في كلاسيكو مرتقب يقام مساء السبت على ملعب أحمد بن علي، حيث يدخل السد اللقاء متصدرا لجدول الترتيب برصيد 38 نقطة، كما يسعى إلى استعادة توازنه بعد خسارته الأخيرة أمام العربي، والحفاظ على موقعه في القمة. وفي المقابل، يخوض الريان المباراة بمعنويات مرتفعة بعد فوزه على الوكرة، ويطمح الفريق، صاحب المركز الرابع برصيد 31 نقطة، إلى تحقيق انتصار مهم يقلص به الفارق مع المتصدر ويعزز حظوظه في المنافسة على اللقب.

وتمثل المباراة أيضا فرصة للمدرب الإسباني فيسنتي مورينو لتأكيد بصمته مع الفريق، بعدما انتقل لتدريب الريان قادما من الوكرة وقاده في أول مباراة للتأهل إلى نهائي كأس "كيو.أس.أل" لمواجهة معيذر بعد تخطي عقبة أم صلال في قبل نهائي ماراثوني بركلات الترجيح. ويعول السد على خبرة مدربه الإيطالي روبرتو مانشيني في إدارة المواجهات الكبرى، رغم غياب المدافع أحمد سهيل للإيقاف.

وفي صراع الوصافة، يستضيف الشمال نظيره أم صلال على استاد الخور، في مواجهة لا تقل أهمية، حيث يدخل الشمال اللقاء وهو في المركز الثاني برصيد 34 نقطة، واضعا نصب عينيه تحقيق الفوز لمواصلة الضغط على السد في الصدارة. ويعتمد الشمال على استقراره الفني والنتائج الإيجابية التي حققها مؤخرا، فيما يخوض أم صلال المباراة تحت ضغط كبير، إذ يحتل المركز التاسع برصيد 20 نقطة، ويبحث عن نتيجة إيجابية تبعده عن مناطق الخطر وتعزز فرصه في تأمين البقاء مبكرا.

وتشهد هذه الجولة مواجهة قوية بين الدحيل والغرافة على استاد عبدالله بن خليفة، في لقاء من العيار الثقيل يجمع فريقين يملكان طموحات كبيرة في التقدم نحو المربع الذهبي. ويدخل الغرافة المباراة وهو في المركز الثالث برصيد 34 نقطة، ساعيا لتعويض خسارته الثقيلة أمام الأهلي، بينما يحتل الدحيل المركز السابع برصيد 27 نقطة ويأمل في مواصلة انتفاضته بعد فوزه على الشمال.

وتحمل المواجهة صراعا تكتيكيا واضحا بين المدربين جمال بلماضي وبيدرو مارتينيز، في ظل اعتماد الدحيل على قوته الهجومية بقيادة عادل بولبينة، مقابل خبرة ياسين براهيمي وخوسيلو في صفوف الغرافة.

وفي إطار المنافسة على المراكز المتقدمة، يستضيف فريق قطر نظيره الوكرة على استاد سحيم بن حمد، حيث يدخل قطر اللقاء وهو في المركز الخامس برصيد 28 نقطة، ويأمل في استغلال عاملي الأرض والجمهور لمواصلة نتائجه الإيجابية والاقتراب من المربع الذهبي، خاصة مع امتلاكه مباراة مؤجلة قد تعزز من حظوظه. وفي المقابل، يسعى الوكرة صاحب المركز الثامن برصيد 23 نقطة إلى استعادة توازنه بعد نتائجه المتذبذبة، ويأمل في الخروج بنتيجة إيجابية تعيده إلى دائرة المنافسة.

أما على مستوى صراع الهبوط، فتبرز مواجهة الأهلي والسيلية كأهم لقاءات الجولة، حيث يلتقي الفريقان على ملعب خليفة الدولي في مباراة تحمل طابع "البقاء"، إذ يحتل الأهلي المركز العاشر برصيد 19 نقطة، فيما يأتي السيلية في المركز الحادي عشر برصيد 18 نقطة.

وتمثل المباراة فرصة ذهبية للفريقين للابتعاد خطوة كبيرة عن مناطق الخطر، في حين أن الخسارة قد تعقد موقف أي منهما مع اقتراب نهاية الموسم، ما يجعلها مواجهة مفتوحة على كافة الاحتمالات في ظل تقارب المستوى والضغوط الكبيرة. وفي مواجهة أخرى لا تقل أهمية، يلتقي الشحانية متذيل الترتيب برصيد 17 نقطة مع العربي السادس برصيد 28 نقطة على ملعب الخور، حيث يسعى الشحانية لتعويض خسارته الأخيرة أمام السيلية وإنعاش آماله في البقاء.

منافسة شرسة

العرب
الجمعة 2026/04/03
السنة 48 العدد 13775

ماء الورد الطائفي: تراث عريق ورائحة عالمية

من جبال الطائف المزهرة تنطلق رائحة الورد الطائفي الفاخر، حاملا معه تاريخا عريقا من الحرفة والإتقان، ليصل إلى الأسواق العالمية كأحد أنقى وأجمل المنتجات الطبيعية التي تعكس جمال الأرض السعودية وعبق تراثها المتجذر في ذاكرة الأجيال المتعاقبة عبر الزمن.

حكاية أرض وعطر أصيل

الرياض - تُعد صناعة ماء الورد الطائفي واحدة من أعرق الحِرف الزراعية في محافظة الطائف بالمَملكة العربية السعودية، وهي صناعة تمتد جذورها إلى مئات السنين، ارتبطت بتاريخ طويل من الزراعة التقليدية والمعرفة المتوارثة التي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل. ولم يعد ماء الورد الطائفي مجرد منتج عطري محلي، بل أصبح رمزًا ثقافيًا واقتصاديًا يعكس هوية المنطقة، ويجسد علاقة الإنسان بالطبيعة في بيئة جبلية تتميز باعتدال مناخها وخصوبة تربتها وتنوع تضاريسها، ما جعلها موطنًا مثاليًا لزراعة الورد وإنتاج أحد أنقى الزيوت العطرية في العالم.

تبدأ قصة ماء الورد مع موسم الربيع الذي لا يتجاوز عادة 45 يومًا، وهو موسم دقيق ومكثف يُعد ذروة النشاط الزراعي في الطائف. خلال هذه الفترة القصيرة تُقطف الورود في ساعات الفجر الأولى قبل شروق الشمس، حيث تكون الأزهار في قمة تفتحها وتحتفظ بأعلى تركيز من الزيوت العطرية. ومع بداية الموسم تتحول مزارع الطائف إلى مشهد طبيعي فريد، أشبه بلوحات فنية نابضة بالحياة، تمتزج فيها الألوان الزاهية بروائح الورد التي تعبق في الأجواء وتمنح المكان طابعًا استثنائيًا يميز المدينة عن غيرها.

وتنتشر مزارع الورد الطائفي في مناطق متعددة مثل الهدا والشفا ووادي محرم والوهط وغيرها، حيث تضم هذه المناطق مئات المزارع التي تحتضن أكثر من مليون شجيرة ورد. وتنتج هذه الشجيرات مئات الملايين من الورود سنويًا خلال موسم قصير جدًا، ما يجعل عملية القطف والتقطير عملية دقيقة ومعقدة تحتاج إلى خبرة كبيرة وتنظيم محكم وجهد جماعي متواصل من المزارعين والأسر التي توارثت هذه المهنة عبر الزمن.

بعد عملية القطف مباشرة تُنقل الورود إلى المعامل التقليدية التي تُعرف محليًا باسم "قدور الطبخ"، وهي أوعية نحاسية كبيرة تُعد القلب النابض لعملية إنتاج ماء الورد. توضع الورود مع الماء داخل هذه القدور، ثم تُغلق بإحكام وتُعرض لحرارة معتدلة محسوبة بدقة عالية. ومع بدء الغليان تتصاعد الأبخرة المحملة بالزيوت العطرية، لتنتقل عبر أنابيب خاصة إلى أوعية تبريد تُسمى "الملتقى"، حيث يتم تكثيفها وتحويلها إلى سائل عطري يُعرف بماء الورد، إضافة إلى دهن الورد الذي يُعد من أنقى وأغلى الزيوت العطرية عالميًا.

وتتطلب هذه العملية مهارة دقيقة في التحكم بدرجات الحرارة ومدة التقطير، إذ إن أي خلل بسيط قد يؤثر على جودة المنتج النهائي أو يقلل من تركيزه العطري. وعلى الرغم من دخول التقنيات الحديثة في بعض مراحل الإنتاج، إلا أن الطرق التقليدية ما زالت تحافظ على مكانتها الأساسية، نظرًا لقدرتها على إنتاج ماء ورد عالي الجودة يتميز برائحة قوية وثابتة لا يمكن تقليدها بسهولة في المصانع الحديثة.

ويُستخدم ماء الورد الطائفي في مجالات متعددة ومتنوعة، فهو يدخل في صناعة العطور الفاخرة والبخور، كما يُستخدم في مستحضرات التجميل والعناية بالبشرة بفضل خصائصه الطبيعية المهدئة والمنعشة. وإلى جانب ذلك يدخل في الصناعات الغذائية، مثل الحلويات الشرقية والمشروبات التقليدية وبعض الأطباق الشعبية، ما يعكس تنوع استخداماته وعمق حضوره في الحياة اليومية داخل المملكة وخارجها.

ويشير المهتمون بزراعة الورد إلى أن عملية التقطير تعتمد على كميات ضخمة من الأزهار، قد تصل إلى عشرات الآلاف من الورود في الدفعة الواحدة. ويتم استخراج "تولة الورد" من كميات كبيرة جدًا من الأزهار تُجمع يدويًا خلال ساعات الفجر، ثم تُقطر خلال أقل من 24 ساعة لضمان الحفاظ على نقاء الرائحة وعدم فقدان الزيوت العطرية المتطايرة التي تمنح المنتج قيمته العالية.

كما تنتج عن عملية التقطير عدة درجات من التركيز العطري، أبرزها "العروس" و"الساير"، حيث تُعد "العروس" الأعلى جودة والأكثر تركيزًا، بينما تكون "الساير" أقل نقاء، ما يتيح تنوعًا في المنتجات يلبي احتياجات الأسواق المختلفة، سواء تعلق الأمر بالمنتجات الفاخرة أو بالمنتجات المعدة للاستخدامات اليومية.

ولا تقتصر أهمية ماء الورد الطائفي على الجانب الاقتصادي فقط، بل تمتد لتشمل أبعادًا ثقافية واجتماعية عميقة، إذ يُعد جزءًا من الهوية المحلية لسكان الطائف، ومرتبطًا بمناسبات اجتماعية ودينية عديدة، كما يُستخدم في بعض العادات التقليدية التي تعكس ارتباط الإنسان بتراثه وبيئته الطبيعية.

ومع مرور الوقت اكتسب ماء الورد الطائفي شهرة واسعة تجاوزت حدود المملكة العربية السعودية، حيث أصبح يُصدر إلى العديد من الدول العربية والعالمية، مثل دول الخليج ودول أوروبا وآسيا، ليُستخدم في الصناعات العطرية الفاخرة ومستحضرات التجميل الراقية. وقد أسهمت جودته العالية وندرته ورائحته المميزة في تعزيز مكانته في الأسواق العالمية، ليصبح منتجًا مطلوبًا في بيوت العطور العالمية التي تعتمد عليه كمكون أساسي في تركيباتها الفاخرة.

ناسا تطلق أرتيميس 2 نحو استكشاف القمر

فلوريدا (الولايات المتحدة) - أطلقت وكالة ناسا صاروخ "نظام الإطلاق الفضائي" الذي يحمل كبسولة "أوريون" وعلى متنه أربعة رواد فضاء، من منصة الإطلاق عند الساعة 6:35 مساءً بالتوقيت المحلي في مركز كينيدي للفضاء في ولاية فلوريدا الأميركية.

ويأتي هذا الإطلاق ضمن مهمة "أرتيميس 2" التي تُعد خطوة محورية في برنامج العودة إلى القمر بعد عقود من آخر مهمة مأهولة. وتهدف بعثة "أرتيميس 2" إلى اختبار القدرات التشغيلية للمركبة الفضائية في بيئة الفضاء العميق، حيث سيقوم الطاقم برحلة غير مسبوقة تبتعد فيها المركبة عن الأرض مسافة تصل إلى نحو 400 ألف كيلومتر، وهو ما يمثل تحديا تقنيا وعلميا كبيرا في تاريخ الرحلات المأهولة الحديثة.

وخلال هذه المهمة، ستدور الكبسولة حول الجانب البعيد من القمر، في مسار محسوب بدقة قبل أن تبدأ رحلة العودة إلى الأرض.

وتُعد هذه الرحلة اختبارا عمليا شاملا لأنظمة "أوريون" وقدرة الطاقم على العمل في ظروف الفضاء العميق، بما في ذلك أنظمة الاتصالات والملاحة والدعم الحياتي. كما ستوفر بيانات علمية مهمة تساعد في تطوير البعثات المستقبلية، خاصة تلك التي تستهدف الهبوط على سطح القمر ضمن خطط ناسا طويلة الأمد.

ومن المتوقع أن تستمر المهمة نحو 10 أيام، وهي مدة كافية لإجراء سلسلة من التجارب ومراقبة أداء المركبة في مختلف مراحل الرحلة، بدءًا من الإقلاع مرورًا بالتحليق حول القمر وصولًا إلى العودة والدخول في الغلاف الجوي للأرض.

وفي حال نجاح هذه المهمة، ستكون بمثابة تمهيد مباشر لمهام لاحقة تهدف إلى إعادة رواد الفضاء إلى سطح القمر لأول مرة منذ برنامج "أبولو" التاريخي.

نادين نجيم بشخصية غامضة في مسلسل «ممكن»

بيروت - هل تنجح نادين نسيب نجيم في مواصلة سلسلة نجاحاتها من خلال مسلسل "ممكن"؟ الإجابة لا تزال مفتوحة، لكنها ترتبط بعدة عوامل حاسمة، في مقدمتها قوة السيناريو وطبيعة المعالجة الدرامية، إضافة إلى خصوصية الشخصية التي تقدمها، فضلا عن الكيمياء المنتظرة بينها وبين ظافر العابدين، وهو ثنائي يراهن عليه الجمهور لتقديم عمل مختلف خارج سباق موسم رمضان التقليدي.

تدور أحداث مسلسل "ممكن" حول شخصية زياد سليمان، وهو رجل أعمال ناجح يعيش حالة من التوازن الهش بين طموحه المهني وتعقيدات حياته الشخصية.

ويجسد ظافر العابدين هذه الشخصية التي تبدو قوية من الخارج، لكنها تحمل في داخلها صراعات نفسية وعاطفية عميقة، خاصة مع تشابك علاقاته وظهور شخصيات تؤثر بشكل مباشر على مسار حياته.

في المقابل، تقدم نادين نسيب نجيم شخصية ميراج، وهي واحدة من أكثر الشخصيات غموضًا في العمل. لا تظهر ميراج كشخصية تقليدية، بل تحمل أبعادًا نفسية مركبة، وتخفي وراء هدوئها الكثير من الأسرار والتحولات. دخولها إلى حياة زياد لا يكون عابرًا، بل يشكل نقطة تحول محورية في الأحداث، حيث تتداخل علاقتهما في مسار يتراوح بين الانجذاب والتصادم، ما يخلق حالة من التوتر الدرامي المستمر.

ليبيا تودع ملف الزي الرجالي التقليدي لدى اليونسكو

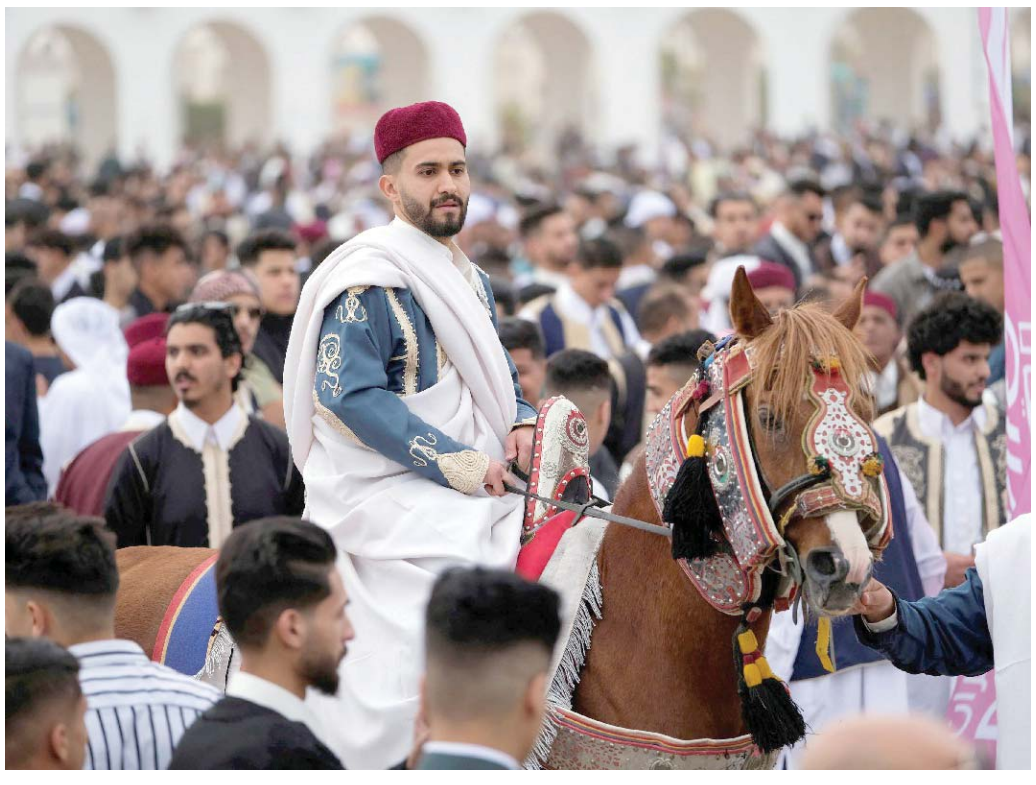

طرابلس - أعلنت وزارة السياحة والصناعات التقليدية في ليبيا عن خطوة جديدة في إطار جهودها لحماية التراث الثقافي غير المادي وتعزيز حضوره دوليًا، حيث تم إيداع ملف الزي الرجالي التقليدي الليبي المعروف بـ"الكاط" ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، إلى جانب العمل على الانضمام إلى ملف "الكسكسي" المشترك.

وأوضحت الوزارة في بيان رسمي أن هذه الخطوة تأتي في سياق استراتيجية تهدف إلى توثيق الموروث الثقافي الليبي وفق المعايير الدولية، وإبرازه باعتباره عنصرًا أساسيًا من مكونات الهوية الوطنية.

كما يعكس هذا الملف القيمة الثقافية والاجتماعية للزي التقليدي، الذي يمثل جزءًا مهمًا من تاريخ المجتمع الليبي وخصوصيته، ويجسد امتدادًا لعاداته وتقاليده المتوارثة عبر الأجيال.

وأكدت الوزارة أن هذا التقدم لم يكن ليتحقق لولا الجهود المتواصلة التي بذلتها الفرق المختصة وحرصها على دعم هذا المسار وتعزيز حضور ليبيا في المحافل الثقافية الدولية. وساهمت خبيرة التراث سمية عصمان بدور بارز في إعداد وتوثيق ملفي "الكاط" و"الكسكسي"، بما يتوافق مع متطلبات وإجراءات اليونسكو الدقيقة.

وأعربت الوزارة عن تقديرها لكافة أعضاء فريق العمل الذين شاركوا في إنجاز هذا المشروع، مشيدة كذلك بجهود مندوب ليبيا لدى اليونسكو، الدكتور صالح العقاب، الذي كان له دور محوري في دعم تقديم الملفات ومتابعة إجراءاتها، ما ساهم في تسهيل مسارها وتعزيز فرص قبولها على المستوى الدولي.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

جائزة نوبل لأفضل «ميم» يوقف الحرب

الحروب عادةً تُدار بالصواريخ والدبلوماسية والمخابرات، لكن واشنطن وطهران قررتا هذه المرة تطوير سلاح جديد، أخطر وأرخص: الميم.

بدأت المعركة حين أطلقت إدارة ترامب حملة على تيك توك وإكس، حوّلت القصف على إيران إلى عرض هوليوودي. فيديوهات تجمع بين لقطات حقيقية لانفجارات وبين مشاهد من أفلام مثل آيرون مان وتوب غان وغلادياتور، مع موسيقى حماسية وصوت سبونج بوب يصرخ: "كابوم!". الرسالة واضحة: الحرب ليست مأساة، بل مجرد "لعبة فيديو" يفوز فيها البطل الأميركي دائمًا. حتى الجنود الذين قُتلوا أو الأطفال الذين سقطوا في الغارات صاروا مجرد "أضرار جانبية" في مونتاج سينمائي كبير. النقاد وصفوا الأمر بتحويل الحرب إلى لعبة، والمحاربون القدامى غضبوا: "هذا ليس فيديو جيم، هذا دم حقيقي!". لكن البيت الأبيض استمر، لأن الفيديوهات حصدت عشرات الملايين من المشاهدات. ترامب وجد أخيرًا طريقة يسوّق بها الحرب لجيل التيك توك: لا خطابات طويلة، فقط "كابوم" مع موسيقى إلكترونية.

ثم جاء الرد الإيراني... أكثر إبداعًا وسخرية. وسائل الإعلام الرسمية مثل وكالة تسنيم التابعة للحرس الثوري أطلقت فيديوهات بالذكاء الاصطناعي: جنود إيرانيون من قطع الليغو يهاجمون نسخًا مصغرة من ترامب ونتنياهو، يضربونهما ويرمونهما في سلة المهملات. فيديو آخر يظهر ترامب كـ"تيليتابي" أميركي يقود طائرة مقاتلة فوق خريطة الشرق الأوسط، ثم يبكي عندما تنفجر طائرته. الإيرانيون لم يكتفوا بالدفاع، بل حوّلوا ترامب إلى "بطل كوميدي عالمي". بدل البيانات الرسمية الجافة، قدموا صورا لـ"ترامب يتفاوض مع نفسه ويبكي عندما لا يفوز". وفي الوقت نفسه يغلقون مضيق هرمز ويطلقون الصواريخ، ثم يعودون لصنع ميم جديد.

تخيلوا المشهد: في غرفة عمليات البنتاغون، جنرالات يدرسون خرائط وصور أقمار اصطناعية. في الغرفة المجاورة، شاب عشريني يعدل فيديو: "هنا نضع صوت سبونج بوب... هنا نضيف انفجار من نداء الواجب... مثالي!". أما في طهران، فريق آخر من خبراء الذكاء الاصطناعي يصنعون ليغو ترامب يرتدي قبعة "لنجعل إيران عظيمة من جديد" ويبكي.

هذه ليست حربًا تقليدية. إنها "حرب نفسية رقمية" حيث يفوز من يصنع أفضل ميم. الضحايا الحقيقيون - مدنيون، جنود، اقتصادات - صاروا مجرد "محتوى". الرأي العام العالمي لم يعد يتابع الـBBC أو الجزيرة، بل ينتظر الميم التالي.

والأجمل؟ الطرفان يتهمان بعضهما بالكذب والدعاية، لكنهما يستخدمان نفس الأسلوب تمامًا. أميركا تقول "نحن نحمي الحرية" بفيديو هوليوودي، وإيران تقول "نحن نقاوم الإمبريالية" بليغو. في النهاية، كلاهما يبيع الحرب كترفيه.

اليوم، لم تعد الحرب استمرارًا للسياسة بوسائل أخرى كما قال كلاوزفيتس، بل استمرارًا للحرب بالتيك توك. غدًا قد نرى ترامب يرد بميم يظهر خامنئي (أو خليفته) كشخصية من لعبة العروش، وإيران ترد بفيديو يظهر تمثال الحرية ينهار على أنغام راب فارسي.

والشعب؟ الشعب يضحك... ثم يدفع الفاتورة. يشاهد "كابوم" على هاتفه، بينما ترتفع أسعار النفط ويُغلق مضيق هرمز وتتعطل سلاسل التوريد. السخرية الكبرى أن الحرب الحقيقية قد تنتهي، لكن حرب الميمات ستستمر إلى الأبد. لأن الميم، بخلاف الصاروخ، لا ينفد أبدًا.

في النهاية، ربما نشاهد قريبا إطلاق جائزة نوبل لأفضل ميم يوقف الحرب، يكون الفائز الأول فيها ترامب.